الحبيب السائح

نزيف حرف وذاكرة وطن

20 شارع محمد سليماني، حي حيرش إبراهيم، العلمة، سطيف
البريد الإلكتروني: elwatan elyaoum@gmail.com

الكتاب: الحبيب السائح -نزيف حرف وذاكرة وطن
المؤلف: فضيلة بهيليل
الصنف: تراجم
الحجم: 18/11
عدد الصفحات: 88

حقوق الطبع محفوظة

© منشورات الوطن اليوم 2023
ردمك: 978-9931-09-187-5
الإيداع القانوني: أكتوبر، 2023

مصلحة التسويق (النقال): 05.50.52.59.68
07.70.32.02.08

Scanné avec CamScanner

مقدمة

إن الحديث عن الكاتب الحبيب السائح حديث مستفيض لا يُختزل في كتاب واحد، خاصة وأنه كاتب مخضرم ينتمي لجيلين؛ جيل ما بعد الاستقلال بكل آماله وأحلامه وطموحه في الدفع بعجلة تقدم الجزائر، تحت شعارات تناشد بالعدل والمساواة بين أبناء الوطن الواحد، وجيل جديد تغيرت فيه الأفكار والأوضاع واهتز فيه أمن البلاد، جيل عاش مأساة الاستعمار لكن هذه المرة من الأهالي داخل الوطن لا من خارجه. وبين الجيلين كاتب تشبّع بحب الوطن وظل يرسم له ملامح أجمل في رواياته وقصصه محاولا نفض الغبار عن القضايا التي أُغلقت عمدا، فاتحا ملفات سرية بحثا عن الحقيقة.

وأنا أتتبع مسار الكاتب الحبيب السائح لم أعتمد في مؤلفي على الفصول وإنما اكتفيت بمحاور رئيسية رأيتها تتناسب والمادة التي جمعتها، فكانت العتبة الأولى تنقيبا داخل حياة الكاتب بعنوان " طفل يتغنى بالعدالة وشاب يحمل هموم وطن"، فيه ذكرت مولد الحبيب السائح وأهم الأحداث التي عاشها فكان لبعضها فضلُ توجيهه للكتابة، في هذا المحور أيضا حديث عن أثر الأوضاع السياسية على حياته و كتاباته.

انتقلت بعد ذلك إلى ذكر أهم نشاطاته الفكرية، ثم إلى عناوين مؤلفاته العربية والمترجمة وكذا ما ترجمه هو إلى الفرنسية، وختمت هذا المحور بذكر جوائزه وترشيحاته.

في المحور الثاني الموسوم بـ"الحبيب السائح وانتفاضة الكتابة" حديث عن باكورة أعمال الكاتب، وأول مجموعة قصصية ألّفها كانت بعنوان "القرار" سنة 1979، ثم الصعود نحو الأسفل سنة 1981، لأنتقل للمحور الثالث بعنوان "محنة زمن النمرود ومنحة فتح جديد" في هذا الجزء حديث عن النص الذي كان سببا في تغيير مسار الكتابة لدى الحبيب السائح، إنه "زمن النمرود" الرواية الصادرة سنة 1985 والتي تسببت في محاصرة بيت الكاتب وسحب النسخ من المكتبات.

حاولت الكشف عن الرواية وعن ظروف ولادتها مستعينة بأقوال الكاتب نفسه وأقوال صديقه " جيدل بن الدين" الذي فرّ إليه.

وبهذا طويت "محنة زمن النمرود" لأنتقل إلى رابع محور "ما بعد زمن النمرود" أين تفرع هذا الجزء لأعرض فيه الكتابات اللاحقة للحبيب السائح نصا بعد آخر بإسهاب حينا وباختصار حينا آخر، فكانت النصوص التالية: ذاك الحنين 1997، البهية تتزين

لجلادها 2000، تماسخت 2002 ، تلك المحبة 2003 ، الموت بالتقسيط 2003، مذنبون لون دمهم في كفي 2009 ، الموت في وهران 2013، كولونيل الزبربر 2015، من قتل أسعد المروري 2017، أنا وحاييم 2018، ما رواه الرئيس 2020، نزلاء الحراش 2021 ، كلها محطات عكست فترات تاريخية مختلفة واتسمت بخصائص فنية طبعت أسلوب الكاتب وأرّخت بصمته الأدبية.

آخر ما ختمت به المؤلف هو "أسس الكتابة عند الحبيب السائح" من خلال نقاط قدمتها بإيجاز على أمل أن يجد الباحث عن كتابات السائح ما يعينه على البحث والدراسة.

الحبيب السائح

"طفل يتغنى بالعدالة ...وشاب يحمل هموم وطن"

الحبيب السائح كاتب وروائي جزائري ، من مواليد" 9 سبتمبر 1952م أو في 24 أفريل 1950م وهو المتعامل به إداريا، في لالة حسنة، بنيان ، ولاية معسكر"[1].من عائلة شريفة تنسب لقبيلة "سيدي عيسى"، وهي عائلة ثورية استوطنت إحدى بلديات "معسكر" الفلاحية قبل أن يقوم الجيش الفرنسي بقصف بيتهم وهدمه بعد اندلاع ثورة التحرير سنة 1954م، ذلك أن منزلهم كان مركزا للمجاهدين بحكم قربه من جبل جدهم "سيدي عيسى" الذي لا يزال إلى اليوم وقفا على آل أولاد "سيدي عيسى".

[1] موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، الجزء الثاني، إعداد مجموعة من الأساتذة، إشراف رابح خدوسي، تقديم أ.د محمد الأمين بلغيث، منشورات الحضارة، طبعة 2014، ص:116.

أجبرت عائلة السائح الحبيب على الفرار لوهران ، هذه العائلة التي تكونت من الأم والأب الذي كان مطلوبا من طرف الاستخبارات الفرنسية، والأخوان الشابان اللذان استشهد أحدهما بعد التحاقه بجيش التحرير(...)، والأختان اللتان تزوجتا في سن مبكرة كما كان معروفا خشية الاغتصاب من طرف جيش العدو . وهكذا تمزقت عائلة السائح الحبيب مثل غالبية العائلات الجزائرية وقتها [1].

ومن وهران انتقلت العائلة إلى "سعيدة" قبيل الاستقلال، أين عاش طفولته ومراهقته وشبابه هناك ، يقول: " مدينة سعيدة ، التي دخلناها من وهران قبيل الاستقلال والتي استكملت فيها طفولتي واستنفذت فيها مراهقتي وبذلت فيها شبابي وأعطيتها من كهولتي ما جعلها تُذكّر بي وتسافر في كتاباتي . فإن أولى قصصي القصيرة كانت عن سعيدة. و "زمن النمرود" هو النص المكاني بامتياز عن مدينة سعيدة" [2].

تحصل على شهادة ليسانس " آداب ودراسات ما بعد التخرج" من جامعة وهران سنة 1980 ليلتحق بعد تخرجه بالمعاهد

[1] انظر: محاورة كمال الرياحي للكاتب الحبيب السائح بموقع بيت الخيال: https://housefictionrk.wordpress.com/2017/02/14

[2] محاورة كمال الرياحي للكاتب الحبيب السائح، الموقع نفسه.

التكنولوجية للتربية أين شغل بها منصب مدرس، وإطار تفتيش في وزارة التربية الوطنية، ثم عمل أستاذا مشاركا في جامعة التكوين المتواصل، فمحاضرا بعد ذلك بمعهد اللغة الفرنسية بالمركز الجامعي لسعيدة.

كغيره من الشباب رسم الحبيب السائح أحلامه بكل فرح فراح يسعى لتحقيقها، ولم يدر بعد أي اتجاه سيسلك من بين الاختيارات الثلاث التي تمنى أن يحفر في إحداها عميقا ويرسخ اسمه فيها كاتبا أو ممثلا أو صحفيا، اعترف هو نفسه بذلك في إحدى محاوراته بأن حلمه كان يتأرجح بين التمثيل والكتابة والصحافة، وقد سبق له أن شارك في التمثيل بمسرح الهواة في العشرينيات من عمره، ثم انضم إلى جريدة الجمهورية لإعداد ملحق "النادي الأدبي" مع المرحوم "بلقاسم بن عبد الله"، ليكتب بعدها أولى قصصه القصيرة فتفوز بجائزة القصة التي كانت تنظمها وزارة التعليم في السبعينيات، كما أن توجهه للقراءة منذ سن المراهقة ودأبه على حفظ القرآن الكريم، وما قرأه لاحقا من النثر العربي ومن الشعر ومن التراث الإسلامي وجهه إلى طريق الكتابة ، يقول في لقاء له مع مجلة "الجديد": " ... إن ما أوقفني على درب الكتاب (...) هو قراءاتي منذ المراهقة التي كانت، بلا إنكار لذلك، تدْخل في حوار مع ما كنت أحفظه من القرآن، ولاحقا مع كنت سأقرؤه من النثر العربي ومن الشعر ومن التراث الإسلامي في مجمله، العقلاني منه خاصة. مما

شكل لديّ ذائقة لغوية ذات خليط باهر سيطعّم بما كنت سأطالعه باللغة الفرنسية. فأنت ترى أن هناك عوامل كثيرة قد تجتمع لك في مسارك لتوجهك نحو غاية كنت ترغب في الوصول إليها. وها أنا اليوم، بقدر ما تكلفني إياه كتابة الرواية من شقاء عصبي وتعب جسدي، أشعر بغبطة لا تنقطع لأني أعيش أحد أحلامي الثلاثة"[1].

وبهذا تأرجحت كفة الكتابة الإبداعية على الصحافة والتمثيل، فكانت بمثابة الحافز الذي سيدفع به لاحقا إلى الإبحار في عوالم الكتابة الإبداعية بكل ما تحمله من تعب وشقاء وغبطة.

الحبيب السائح مثله مثل كتّاب جيله، تشبع بالنظام الاشتراكي الذي انتهجته السلطة عهد هواري بومدين سنوات السبعينات، هذا النظام الذي يحقق العدالة والمساواة بين أفراد المجتمع، قال عنه الرئيس هواري بومدين " إن الاشتراكية معناها تحقيق العدالة بين جميع أفراد الشعب ومعناها توزيع ثروات البلاد بكيفية عادلة على جميع أبناء هذا الوطن... (25سبتمبر1965)"[2].

---

[1] الحبيب السائح، الصحراء جنة الكلمات، موقع الجديد، السبت 2020/04/25، الموقع: https://aljadeedmagazine.com

[2] هواري بومدين الرئيس القائد 1932-1978، سعد بن البشير العمامرة، قصر الكتاب البليدة، الطبعة الأولى 1997، ص: 97.

وعلى الرغم من النقائص التي كانت في مرحلة هواري بومدين إلا أنها تمثل العصر الذهبي للجزائر بعد الاستقلال، أين استطاعت النهوض بالاقتصاد وإعادة كرامة المواطن وعزته، وأن تبرز كدولة لها سيادتها وكرامتها داخل وخارج الوطن.

يقول الحبيب السائح عن تلك المرحلة وأثرها : "وللتاريخ، كانت السلطة على عهد بومدين (1965-1978) من أقوى ما عرفته الجزائر مركزية في تاريخها المعاصر. أعترف لك أني ابن شرعي لنظام تلك السلطة؛ فبظل توجهات ذلك النظام . على ما في هياكله ومؤسساته وآلياته من خلل وفساد وأخطاء فادحة. استطعت، مثل غيري من ملايين أطفال الجزائر الخارجين من دمار الحرب، أن أشق طريقي نحو التعليم والمعرفة وأحمل في صدري مثلا ناضلت في سبيله: إقامة العدالة! فإن روائيي الجيل السبعيني المكرسين، حاليا، هم خريجو مدرسة ذلك النظام. ولا مزايدة ! وكان يمكن أن يكون قدر كثير منا التشرد أو الانحراف أو امتهان أعمال أخرى لن تجعل منا، أبدا، كتابا لو لم يتم انتهاج النظام الاشتراكي في تلك الشروط التاريخية؛ لأننا من عائلات متواضعة الحال أو فقدت ما عندها في سبيل الثورة، فهناك عدد من الكتاب والقصاصين والشعراء هم أبناء شهداء ! لذا، لما بدأت بوادر الانحراف تلوح كنت

من أول الكتاب، من جيلي، من رفع صوته بالشجب. فكانت 'زمن النمرود' التي قطعت شعرة معاوية كما يقال"[1].

عرفت الجزائر مطلع التسعينيات توترا سياسيا كبيرا، انشقت فيه الأحزاب وتطاحنت المصالح، فعمّت الفوضى وساد الرعب في أطراف البلاد. وحده الشعب كان الطعم والضحية لتلك المجازر الشنيعة، كما أن يد الجماعات المتطرفة استهدفت كل من له علاقة بالدولة والحكومة وكل من كان مثقفا متعلما ؛ بدءا بطلاب الجامعات وصولا إلى الكتاب والفنانين والمبدعين في شتى المجالات، هي الفترة التي سميت بالعشرية السوداء" أو "العشرية الدموية"، قتل فيها العديد من الصحفيين والفنانين والمبدعين وغادر آخرون أرض الوطن.

لم يكن السائح الحبيب راضيا عما كان يحدث بأرض أجداده وهو الذي ينحدر من عائلة ثورية رفعت السلاح ضد المستعمر الفرنسي، غير أن بقاءه فيها ومواصلة الكتابة كان ضربا من المجازفة والجنون. غادر الجزائر باتجاه تونس سنة 1994، ليمكث فيها قرابة

[1] محاورة كمال الرياحي للكاتب الحبيب السائح بموقع بيت الخيال: https://housefictionrk.wordpress.com/2017/02/14

نصف سنة وقبلها كان توجه إلى المغرب الأقصى، ليعود مرة أخرى إلى أرضه ووطنه الجزائر فيتفرغ للكتابة الإبداعية قصة ورواية، يقول في حوار له بمجلة العربي مصححا فكرة من قال إنه سافر إلى تونس أولا ثم المغرب: " للتاريخ، توجهت إلى المغرب الشقيق أولًا، في ذروة التقتيل الهمجي للجماعات المسلحة. فقضيت شهرًا (أبريل 1994) في ضيافة اتحاد كتاب المغرب، حيث حظيت بحضن أخوي لن أنساه أبدًا. ثم انتقلت إلى تونس العزيزة، حيث قضيت حوالي ستة أشهر في ضيافة اتحاد كتَّابها معززًا مكرمًا إلى أن غادرت في خريف 1994، راجعًا إلى بلدي. ففي رواية «تماسخت... دم النسيان» تجسيد للرحلتين اللتين لم تكونا سياحيتين، أبدًا"[1].

أبرز النشاطات الفكرية للحبيب السائح:

[1] محاورة الكاتب الحبيب السائح بعنوان: "الروائي الجزائري الحبيب السائح: أكتب ما سكت التاريخ عنه" بمجلة العربي. الموقع الالكتروني:

https://alarabi.nccal.gov.kw/Home/Article/17391

- مؤسس النادي الأدبي في جريدة الجمهورية إلى جانب الراحل "بختي بن عودة" الذي أسهم معه في تنشيط النادي سنوات الثمانينات.

- مؤسس فرع اتحاد الكتاب في سعيدة.

- مؤسس مهرجان القصة القصيرة في سعيدة.

- مؤسس فرع الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان في سعيدة.

- عضو مؤسس لجمعية الجاحظية برئاسة الروائي "الطاهر وطار".

إضافة إلى مساهمة الحبيب السائح في إثراء الصحافة الجزائرية والعربية بما جادت به قريحته من أفكار، فكان له أثر واضح وبصمة خاصة، من خلال مواكبته لكل المواضيع التي طرحت في الساحة الأدبية والثقافية وحتى السياسية منها، سواء عبّر عنها مباشرة من خلال محاوراته الصحفية أو أوردها ضمنيا من خلال كتاباته السردية ، من أبرزها؛ حديثه عن المحظور التاريخي، حديثه عن الثورة الجزائرية، الرواية الجزائرية، المسابقات الإقليمية ومعاييرها، جائزة البوكر التي شغلت النقاد والمبدعين، عن الكتابة وآلياتها، عن فترة الإرهاب، والحراك الجزائري وغيرها. نشرت أغلبها بالجرائد والمجلات الورقية والإلكترونية، وبصفحته الخاصة على مواقع التواصل الاجتماعي، أخص بذلك صفحته على "الفايسبوك"

إصداراته:

المجموعات القصصية:

•القرار، دار الوطنية، 1979.
•الصعود نحو الأسفل، 1981.
•البهية تتزين لجلادها، اتحاد الكتاب العرب، 2000.
•الموت بالتقسيط، دار هومة للنشر، 2003.

الروايات:

•زمن النمرود، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1985.
•ذاك الحنين، CMM، 1999.
•تلك المحبة، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، 2002.
•مذنبون .. لون دمهم في دمي، دار الحكمة، الجزائر، .2009
•زهوة، دار الحكمة، الجزائر، 2009.
•الموت في وهران، دار العين للنشر، 2013.
•كولونيل الزبربر، دار الساقي، 2015.
•تماسخت، دار القصبة، 2002.
•من قتل أسعد المروري، دار ميم للنشر، 2017.
•أنا وحاييم، دار ميم للنشر، 2018.
•مارواه الرئيس، دار مسكيلياني للنشر والتوزيع،2020.
• نزلاء الحراش

أعماله المترجمة إلى الفرنسية:

•ذاك الحنين، دار القصبة، 2003، Un amour de papillon

•تماسخت، دار القصبة، 2003، Tamassikht

•تلك المحبة، دار الحكمة، 2012، Cet amour-là

•مذنبون .. لون دمهم في كفي، دار الحكمة، 2014 Sur ma main encore le sang des coupables

ترجم هو إلى العربية:

•شرف القبيلة (العنوان الأصلي L'honneur de la tribu) :للكاتب رشيد ميموني

•لا وجدو للصدفة (العنوان الأصلي (Il n'y a pas de hasard : للكاتب جمال عمراني

•بين السن والذاكرة (العنوان الأصلي Entre la dent et la mémoire) :للكاتب جمال عمراني

•شمس ليلنا (العنوان الأصلي (Le soleil de notre nuit :للكاتب جمال عمراني

•الحضور المزدوج (العنوان الأصلي(La double presence :، للكاتب بتول فيكار

جوائزه وترشيحاته:

• فوز أولى مجموعاته القصصية "القرار" 1979، بالمرتبة الأولى لمهرجان القصة والشعر الذي نظمته وزارة التعليم العالي في الجزائر التي كانت تنظمها وزارة التعليم في السبعينيات.

•جائزة الرواية من ملتقى عبد الحميد بن هدوقة بالجزائر عام 2003.

•وصلت روايته "أنا وحاييم" إلى القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية - البوكر في عام 2019.

•فاز بجائزة كتارا للرواية العربية عن روايته "أنا وحاييم" عن فئة الروايات المنشورة في عام 2019.

الحبيب السائح...وانتفاضة الكتابة:

القرار 1979م:

ظهرت بدايات الحبيب السائح الإبداعية أواخر السبعينات متمثلة في فن القصة القصيرة مع أولى مجموعاته القصصية سنة 1979، سماها "القرار"، والتي توجت بالمرتبة الأولى لمهرجان القصة والشعر الذي نظمته وزارة التعليم العالي في الجزائر . كان قد فاز بها أيضا عمار بلحسن والنمسي سعيد قبل أن يخمد نشاطها ويصبح طي النسيان.

المجموعة القصصية "القرار" ضمت عشرة قصص عنونها الكاتب كالتالي: السنابل، الحمّال،البيت الصغير، تحت السقف، الرحلة الأخيرة،عد يا أبي، الإعلان، هموم، القرار، الصخر.

هي قصص تحاكي الواقع المعاش آنذاك والمشاكل الاجتماعية التي أفرزها الاستعمار الفرنسي، كالجوع والفقر الذين بديا كوشم ارتسمت نقوشه بجل نصوص المجموعة، صوّره الكاتب بأدق التفاصيل كما جاء في قصته "الحمّال" على لسان ابن الحمال "قال أوسطهم لأبيه: 'الأسبوع القادم ندخل المدرسة، جلول جارنا اشترى لأبنائه ملابس جديدة ومحافظ جميلة'. كادت تخون حمو دمعة،

لولا خجله من زوجته التي تخبز . كيف يبكي أو يذرف دمعة وهو الإنسان الذي يؤمن بأن المرأة هي التي من حقها أن تبكي . لا الرجل"[1]، إلى جانب موضوع الفقر عالج الكاتب ظاهرة أخرى مؤلمة هي انقلاب الموازين وما طال بعض المجاهدين من إجحاف في حقهم ، بل تعدى الأمر إلى حرمانهم من أبسط الحقوق كسكن يلم شمل أسرهم، انعكس هذا السلوك جليا في قصة "تحت السقف" : "هل من القانون في شيء أن أترك أولادي تحت الخطر وسكنى مقفلة تسكنها الفئران والحشرات؟ (...) قدمت مائة طلب لمصلحة الإسكان وما زلت أنتظر (...) تعالوا لتروا بأعينكم سقف الحجرة وجدرانها التي ينام فيها أولادي"[2].

هكذا عكست قصة "تحت السقف" مدى البؤس الذي طال أبناء الوطن الذين فدوه بالنفس والنفيس في مفارقة لم يستوعبها الأب "فالقانون في الحقيقة ، يمنع المواطنين في الجزائر من أن يقيموا تحت سقف متقادم بالٍ، و لكن هذا القانون ذاته يمنع من

[1] الحبيب السائح، القرار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع مركب الطباعة – رغاية. الجزائر 1981، ص: 19-20.

[2] القرار، ص:48.

استيلاء المواطنين على منازل غيرهم ولو كانت فارغة"[1] ، من هنا كان سوء التفاهم بين الأب الطيب الذي رأى أن تنظيف بيت مهمل غير مستعمل واستعماله هو وأسرته أمر ممكن بدل أن يظل مغلقا ويعرض أولاده للموت تحت سقف متهاو، وبين الشرطة التي كانت ترى أن الحيازة على أي سكن حتى وإن كان مهملا لا تتم إلا بموجب القانون. وغير هذه المشاهد (مشاهد الفقر والبؤس) كثيرة بالمجموعة القصصية "القرار".

الصعود نحو الأسفل 1981:

مجموعة "الصعود نحو الأسفل" صدرت سنة 1981 ثاني مؤلف للسائح الحبيب تصدره تقديم لرائد الرواية الجزائرية "الطاهر وطار" الذي كان يرفض التقديم لأي عمل إبداعي حجته في ذلك عدم إطلاق أحكام مسبقة للقارئ وكي لا يفسد على هذا الأخير عنصر التشويق[2]، لكن مع مجموعة الحبيب السائح اختلف الأمر، فهو رأى فيه ما لم يره في غيره، وتنبأ له بمكانة أدبية مرموقة سينالها

[1] القصة الجزائرية المعاصرة، عبد المالك مرتاض، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990، ص: 116.

[2] ينظر: الحبيب السائح، الصعود نحو الأسفل، المؤسسة الجزائرية للطباعة مطبعة بن بولعيد، 1981، ص:8.

لاحقا، يقول: "سينبهر الناس أولا، بشجاعته التي يسمونها غير هذا الاسم. سيقرأون له كثيرا. سيصفقون له. سيتجاوز اسمه الحدود إلى المستوى القومي ، ثم المستوى العالمي. (أقول هذا عن الحبيب السائح بالذات لأنه بالإضافة إلى التزامه الطبيعي والعفوي بقضايا الطبقة العاملة، يبدع بحماسة وبوجد، نضاليين، يندر أن يصادفهم المرء عند غيره ، من كتاب الجيل الجديد، وهذا في رأيي ما يصنع الكتاب الكبار) وبعد ذلك.. أقول وكما لو أنني أقرأ في كفه.. سيشرع المنزعجون من وجوده في رد فعلهم.. انهم دائما سدنة الأجهزة، والهامشيون المستفيدون ماديا من الوضع الاجتماعي التعسفي.. سيروحون يؤولون كل كلمة يقولها ، حتى وإن نقلها من المواثيق.. ثم يروحون يشككون في القيمة الإبداعية لفنه ، ثم يطعنون في أخلاقه، في شرفه، ثم يقولون صراحة، لماذا هو متواجد إطلاقا..ألا يمكن شنقه ، أو إعادته إلى رحم أمه.. وسيجندون لذلك كل وسائلهم الجهنمية ، حتى تلك التي لا يتوقعها المرء إطلاقا"[1].

ثم تحدث الطاهر وطار - في المقدمة دائما- عن الحبيب السائح الفنان المبدع المطعون الجريح الذي يسعى إلى التوغل في حياة أفراد المجتمع عاكسا معاناته وآلامه، وتعرية الساسة الذين لم

[1] الصعود نحو الأسفل، ص:11.

يكتفوا بقمع المواطن بل تعدوه إلى نخر عظامه وتبديد أحلامه رغم بساطتها. مثلتها قصص المجموعة الثمانية والتي عنونها كما يلي: عرائس الكراكوز، الدفن قبل الموت، تصفية، حفل رسمي، الصعود نحو الأسفل، ناس في الميناء، شجرة العليق، على السرير ليلا.

محنة "زمن النمرود" ... ومنحة فتح جديد

محنة "زمن النمرود"... ومنحة فتح جديد 1985م:

انتقل الكاتب الحبيب السائح من القصة إلى الرواية، فكانت "زمن النمرود" الصادرة عن المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية سنة 1985م فتحا جديدا نحو عالم ستتشكل فيه لاحقا لغة السائح ومكانته الأدبية، هذه الرواية كشفت اللثام عن السياسة القمعية التي كان ينتهجها الحزب الواحد الذي لجأ آنذاك إلى طمس الحقائق وتزوير التاريخ، وعدم الاعتراف بأي رأي آخر خارج مملكته. هو الأمر الذي كان سببا في مصادرة الرواية وسحب النسخ الموزعة بالمكتبات، حجتهم في ذلك أنها تمس ببعض الشخصيات النافذة في السلطة، بل وامتد التضييق على الروائي بمحاصرة بيته بسعيدة، ومحاولة قتله ما دفعه إلى مغادرة المدينة نحو البيّض والمكوث عند صديقه "جيدل بن الدين" . "فنجاته، بمعجزة، لم تعد إلا لصديقه "جيدل بن الدين" الذي خبأه في بيته بمدينة البيض"[1].

[1] الحبيب السائح: الواقعية والسياسة كرؤية مركزية. مقال الكاتب الجزائري: جيلالي خلاص.جريدة الوطن El watan في 11 جوان 2020 .ترجمة: أمين دهماص .

يقول السائح الحبيب في إحدى حواراته حول ما وقع فور صدور رواية "زمن النمرود" التي يعكس عنوانها الكثير من الدلالات القمعية المتسلطة والجبروت: " كان هناك مسؤول لا يهمّني الآن ذكر اسمه لأنه صار من الأموات، يشغل منصباً في السلم التراتبي القيادي لجهاز الحزب. وإذا به يرفع تقريراً إلى وزارة الثقافة، فأمرتْ بسحب الرواية من المكتبات وإعدام نسخها. وقبل ذلك، أمرَ بعقد اجتماع طارئ للمجلس الشعبي الولائي الذي قرر إصدار تعليمات إلى الأمن المحلي بهدف سحب النسخ. وفوق كل هذا، تم تأليب الرأي العام المحلي ضدي شخصياً"[1].

ويضيف الحبيب السائح ردا على سؤال طرحتُه عليه حول مسألة فراره بعد إصدار الرواية واختبائه عند صديقه "جيدل بن الدين"، آثرت أن أنقله كما هو ، يقول:

[1] الحبيب السّائح: «النمرود» الجزائري يحلم بالدولة الحديثة، حاوره سعيد خطيبي، المجلة الثقافية الجزائرية19/12/2011، موقع المقال: https://thakafamag.com/?p=2357

" في علاقة الأخوة النبيلة والصداقة الحميمة التي جمعتنا، أنا وجيدل بن الدين، منذ 1972 ، لما كنا لا نزال قاصين شابين، أحب أن أذكر، حصريا، أمرين اثنين:

1. أن جيدل كان هو الذي آواني بين أهله في مدينة البيّض خلال محنتي مع رواية "زمن النمرود"، لاجئا من مدينة سعيدة بفعل الحصار الذي ضربته حول بيتي، في ليلة 08 أوت 1985، مجموعة من الهائجين المهددين بقتلي المدفوعين من جهات نافذة في جبهة التحرير . الحزب الحاكم وقتها ـ وقد لبثت عند جيدل مدة إلى أن هدأت الأوضاع (ثلاثة أسابيع على ما أذكر).
2. أن جيدل بن الدين كان سندي وعضدي في محنتي الثانية مع الإرهاب في عام 1994. فنظرا لفصلي من عملي بدعوى تخليً عن منصبي (وكنت حينها مهددا بالتصفية إذ لا جهة كانت توفر لي حماية)، كان جيدل هو الذي تقاسم معي راتبه لإعالة أسرتي من شهر مارس إلى شهر أكتوبر 1994. إني أذكر أني لما أُعدت إلى منصب عملي، بفعل تدخل الصديق القاص محمد الصالح حرز الله لدى وزير التربية آنذاك، وجئت أسدد لجيدل ما علي تجاهه من ديْن لامني

قائلا: "لا يا سي الحبيب! والله ولا دينار. أنت أخي. محنتك كانت محنتي"[1].

من جهته أكد لي صديق الحبيب السائح ، الكاتب "جيدل بن الدين" معاناة صديقه فور صدور روايته الأولى " زمن النمرود"، قائلا: "إن التهديدات والضغوط التي تعرض لها الحبيب في سعيدة حادثني بها في وقتها أولا بأول عن طريق الهاتف (الثابت) آنذاك، وكانت تربطنا صداقة بل أخوة أساسها كتابة كلينا للقصة القصيرة والمساهمة في إنعاش الحركة الثقافية تحت غطاء اتحاد الكتاب الجزائريين كان الزمن صيفا ساخنا سنة 1985 ، اتفقنا على أن يغادر إلى البيض حتى لا يلقى عليه القبض، أو يتعرض لاعتداء من الفاعلين الذين وجدوا لسلوكاتهم صورا في رواية زمن النمرود، خاصة أن القضية تحولت من نص أدبي إلى إهانة لأعراش (قبائل) تم ذكرها أو التعرض لمنتسبيها في زمن النمرود.

بقي الحبيب بيننا بمدينة البيض ضيفا مدة 17 يوما حتى هدأت حدة العاصفة وقرب موعد الدخول المدرسي فعاد إلى مسكنه

[1] هذا القول كان ردا عن سؤال طرحته على الحبيب السائح عبر نافذة الدردشة بالفضاء الأرزق، كان السؤال يخص علاقته بصديقه " جيدل بن الدين" ، يوم: 2022/08/09، على الساعة : 10:58.

بحي الدار البيضاء وقد صدر أمر إلى الناشر بطحن نسخ الرواية"[1]، ثم يستدرك ليضيف كأنما موضحا: "أريد فقط الإشارة إلى أن الأشخاص الذين وصل إلى علمهم تواجد الحبيب السايح عندي لا يتجاوز الأربعة ممن كانوا محل ثقة في ألا يشيع الخبر فيصل إلى من يتتبعونه .مع ملاحظة أن المدة التي قضاها بالبيض سادها ترقب تطور الوضع وتسقط أخبار ما آل إليه على المستويين المحلي (بسعيدة) والمركزي"[2].

هذه الحادثة - على فضاعتها وألمها- إلا أنها كانت نقطة تحول فعلي في كتابات الحبيب السائح، والفيصل الحقيقي بين ما كتب قبل هذا النص (زمن النمرود) ، وما سيكتب لاحقا بعد إحداث قطيعة دامت قرابة اثنتي عشرة سنة أعاد فيها السائح تعتيق لغته وتقطيرها ومن ثمة بناؤها من جديد.

إن ما ميز رواية "زمن النمرود" -فضلا عن مباشرتها وعرضها لخطاب موجه إلى السلطة من جهة، وإلى ذلك المواطن التائه بين

---

[1] شهادة من صديق الحبيب السائح، الكاتب "جيدل بن الدين" ردا على استفساري حول ما حدث بعد صدور "زمن النمرود"، على نافذة الدردشة بالفضاء الأزرق، يوم: 2022/08/08.

[2] شهادة من صديق الحبيب السائح، الكاتب "جيدل بن الدين"،الحوار نفسه.

الشعارات الوطنية التي تُرفع مفخمة من جهة أخرى، وبين واقع تطبيق تلك الشعارات بالميدان- هو اللغة البسيطة التي كتبت بها حتى لكأنها بلسان دارج ، ثم مباشرتها التي كانت الخيط الوثيق الذي ربطه المعنيون في الرواية بأنفسهم وأسقطوه مباشرة على أفعالهم وحيواتهم.

الحبيب السائح الكاتب الذي تسري محبة وطنه بشرايينه، ليمتد هذا الحب رباطا وثيقا أبا عن جد، آلمه أن يرى الخراب الذي خلفه جراد الساسة الجدد، فأورث البلاد فسادا راح ينخر أسسها ويهوي بها من مكان سحيق، آلمه أن تهدم كل المبادئ التي سارت عليها الدولة وهي تقف شامخة وبإرادة من حديد رغم حداثة عهدها بخروج الاستعمار والخسائر العظيمة التي لم تتجاوزها إلا بإرادة في مثل عظمتها، مثّلها جيل السبعينات بكل طاقاته الشبابية، حاملا مشعل النصر سراجا ينير به ما آمنوا به من مبادئ ظلت راسخة بقلوبهم، ودينا لا يدينون بسواه كان شعاره 'الإخلاص في حب الوطن'.

كل حلم الحبيب السائح كان يختصر في إنقاذ الفقراء والطبقة الكادحة من قبضة المتسلطين الجبابرة الذين حكموا البلاد فأكثروا فيها الفساد، يقول: "عشت مهووسا بالعدالة. كنت، وأنا طفل، أحلم بشيء: إنقاذ الفقراء. أعتقد أن التزامي الاجتماعي والسياسي

ينبع من ذلك، من محبتي للمعدمين "[1]، " استطعت، مثل غيري من ملايين أطفال الجزائر الخارجين من دمار الحرب، أن أشق طريقي نحو التعليم والمعرفة وأحمل في صدري مثلا ناضلت في سبيله: إقامة العدالة!"[2]

هذه المشاعر المتأججة وهذه الغيرة المندفعة في حب الوطن والمواطن البسيط، لم تترك للسائح الحبيب مجالا لتأخير ما كتبه وإن كان بأسلوب مباشر ولغة نيئة، كل تفكيره كان حول كيفية مخاطبة الجماهير وتوعيتها وتعرية الواقع أمامها، هذه الجماهير

---

[1] نظرة إلى الحبيب السايح الحبيب، الكاتب المفرد. نزولا عند طلب الصديقات والأصدقاء الذين لم يتمكنوا من مطالعة النص/الشهادة الذي نشره أمس الصديق أحمد شنيقي Ahmed Cheniki
على صفحته ووزعته، لاحقا، على صفحتي في لغته الأصلية، يطيب لي أن أقدمه لكم مترجما إلى العربية (مع أملي أن تروق لكم الترجمة).
للعلم: أحمد شنيقي، صحافي مهتم ومتابع وناقد في المجال الفكري والثقافي وأستاذ جامعي متخصص في المسرح. من صفحة الحبيب السائح بتاريخ: 2020/05/18 (فيسبوك)

[2] محاورة كمال الرياحي للكاتب الحبيب السائح بموقع بيت الخيال: https://housefictionrk.wordpress.com/2017/02/14

التي ستخذله لاحقا بعد صدور الرواية جبنا منها ، وخوفا من سلطة ما كانت تتوانى في قمع كل صوت يصدح بالحق المشروع.

يقول الحبيب السائح في هذا الصدد : "كتبت لما يسمى «جماهير» وكانت خيبتي فظيعة يوم تنكرت لي تلك «الجماهير» لأن الآلة السياسية الأحادية، عند صدور رواية «زمن النمرود» في عام 1985، هيّجتها ضدي فكان عليّ أن أهجر مدينتي مدة قبل أن أعود إليها مكللا بتاج «الفضيحة»؛ لأن «زمن النمرود» صارت عورة للغتها الجريئة التي وضعتُها بالعربي الفصيح ثم أنزلتها إلى التركيب الدارج وليس إلى الدارجة"[1].

تلك الحادثة بقدر ما كانت مؤلمة بقدر ما كانت لها نتائجها الإيجابية لاحقا، و كان ذلك سببا في ميلاد كتابة جديدة، إذ ليس كل ما آلمنا وأحزننا هو بالضرورة شر لنا، فكل ما هو وارد إلا وله سبب .

[1] "الروائي الجزائري الحبيب السائح:عاشق في بلاد الأولياء"، حاوره الخير شوار (الجزائر)، (27-03-2009)، طنجة /الأدبية، الجريدة الثقافية لكل العرب. ملف الصحافة 2004/02. الإيداع القانوني0024/2004 الترقيم الدولي8179-1114

اعترف السائح الحبيب هو نفسه بذلك في حوار له مع الصحفية والشاعرة "نوارة لحرش" أين قال: "بالنسبة إلي تجربتي الروائية الأولى التي سببت لي صدمة صاعقة، كانت نتائجها، للمفارقة، مغنية لي على مستوى رؤيتي إلى الكتابة لاحقا. الآن، وعلى بعد تلك المسافة الفارقة، ما زلت من حين إلى حين أتساءل: وماذا كنت سأصير ككاتب لو لم يقع ما وقع؟ للحقيقة، فبقدر الألم الذي سببته لي "زمن النمرود" كان قدر العزاء أني استوعبت أن الكتابة الأدبية حرية ضمير مستقل وإحساس بالذات ككيان واستقلالية جسد كعالم لا يسكنه سوى روحك"[1].فهو يصرح أن لتلك الحادثة ثمارها أيضا وإن كانت أخذت من عمره سنوات قلق وتدبر.

[1] الروائي الحبيب السايح للنصر " الجيل الأدبي الجديد لم تتحدد بعد معالمه بالدرجة التي تحددت لجيلنا" حاورته: نوارة لحرش.نشر في النصر يوم: 2010/09/12.

https://www.djazairess.com/annasr/5039

ما بعد محنة "زمن النمرود"

بعد زمن النمرود أخذ الكاتب على عاتقه مهمة إعادة بناء اللغة التي سيكتب بها لاحقا، مستفيدا من أخطاء روايته "زمن النمرود" ليقدم لنا نصوصا أكثر نضجا ووعيا بلغة أكثر جمالية وتعتيقا مما كتب به سابقا، فجاءت رواياته وقصصه التي سنذكرها وفق الترتيب الزمني.

ذاك الحنين سنة 1997:

يغادر الحبيب السائح متخذا من أقاصي الصحراء الجزائرية وجهة جديدة ومستقرا روحيا إلى حين. لتكون أدرار الصدر الرحب والعالم الجديد الذي بهره بعاداته وتقاليده المختلفة كثيرا عن مدينته، أدرار كانت فجرا مبينا لمسار جديد استهله بروايته "ذاك الحنين" قبل أن تختمر الكتابة لديه وتخرج مكتملة مبهرة مع " تلك المحبة".

وقبل أن نشرع في الحديث عن رواية "ذاك الحنين" الصادرة سنة 1997 ، والتي يكاد يتفق جل النقاد على أنها تمثل قطيعة بينها وبين "زمن النمرود"، لابد أن نشير هنا إلى رواية يفترض أن تكون هي البداية الفعلية لتغير مسار الكتابة لدى الحبيب السائح وبعدها

"ذاك الحنين" ،متمثلة في رواية "الخيانة" سنة 1988، هذا النص السردي الذي تم وأده حتى قبل أن يرى النور، ولم يأت على ذكره أحد عدا ما ورد عارضا بحوارات الكاتب، وقد عزم صاحبه ألا يُنشر مكتفيا بالإشارة إلى عنوانه "الخيانة" موضحا ما كان يعنيه بهذا العنوان الذي نتوقع أنه يستفز جهة معينة أو ينتقد تصرفات تسيء إلى الوطن، حاولتُ - حين عثرتُ على هذا العنوان بإحدى حواراته[1]- أن أسأله عن هذا النص الذي بقي حبيسا لدى الكاتب وحده فرد قائلا: "بخصوص 'الخيانة': أعتبره نصا سقط إلى الأبد من مدونتي. كتبته في لحظة غضب على المتاجرين بدماء الشهداء من المزيفين من "المجاهدين والوطنيين حتى العظم" والخونة الذين استولوا على دواليب الدولة وعلى مظاهر العهر في الحكم وذلك بلغة نيئة جدا"[2].

وقد سبق أن تحدث عن هذه الرواية في حوار له مع كمال الرياحي حيث قال: "رواية 'الخيانة' التي كتبتها(1988) بعد 'زمن النمرود'. والتي تم التحفظ على نشرها بسبب "خطورة موضوعها

[1] ورد ذكر رواية "الخيانة" في محاورة كمال الرياحي للكاتب الحبيب السائح بموقع بيت خيال، تجدون الحوار كاملا عبر هذا الرابط: https://housefictionrk.wordpress.com/2017/02/14

[2] رد الحبيب على استفساري حول رواية "الخيانة" برسالة نصية عبر نافذة الدردشة بالفضاء الأزرق، يوم: 2022/08/09

الذي يمس بالثوابت(!)" وبسبب لغتها "العربية جدا" وبنائها "غير المعهود" تعد العلامة الأولى في شكل الكتابة الجديد عندي، كما تعد النص الذي راهنت به، مع ذاتي، على ألا أكتب، لاحقا، إلا ما يسمو على ما هو "جماهيري" وعادي وسهل. أبوح لك أني يوم أنهيت كتابة "الخيانة" استوعبت ضرورة أن يكون لك عقد شرف مع الكتابة، وحدها، لا غير! لم أمس "الخيانة"، إلى الآن، بأي تغيير أو تحوير ليتم قبولها. فأنا لا أروم التندم على شيء صدر عن قناعة مني ولا أرتضي لكتابتي أن تتوب عن "معصياتها"! وأبقى واثقا من أن "الخيانة" ستعرف يوما حريتها"[1].

انقطع الحبيب السائح عن إصدار نص آخر بعد "زمن النمرود" (أقصد انقطاعه عن الإصدار لا الكتابة) لمدة اثنتي عشرة سنة قبل أن يفاجئ قراءه بعالم روائي جديد تجاوز فيه تقنيات كتاباته الأولى، مستفيدا من هفوات ما سبق بعد أن غير زاوية النظر، من الداخل إلى الخارج، أي من داخل النص إلى مشاهدته عن بعد قارئا متابعا لسيرورة الأحداث، تجسد ذلك في روايته " ذاك الحنين" التي عكست اهتمام الروائي وحرصه على عدم تكرار تجربة " زمن النمرود".

[1] محاورة كمال الرياحي للكاتب الحبيب السائح بموقع بيت خيال: https://housefictionrk.wordpress.com/2017/02/14

من أكثر الدراسات القيمة التي تناولت "ذاك الحنين" بكثير من الدقة والتشريح والتحليل، وبأسلوب شيق يُسقِط الدارس في فخ الأسئلة والبحث، الدراسة التي قدمها البروفيسور "محمد تحريشي" بعنوان "حضور النص الغائب في ذاك الحنين" و"جراحات الماضي... تجربة الكتابة" بكتابه "أدوات النص"، وهو من الأوائل الذين آمنوا بكتابات السائح منذ مجموعته الأولى "القرار" فراح يتابع إصدارات السائح بالدراسة تارة وبتقديم مواضيع مذكرات حول الكاتب تارة أخرى . يقول في حديثه عن رواية " ذاك الحنين" والتجربة الجديدة التي نسج بها الروائي نصه: " لقد أراد السائح أن يكتب نصا مميزا ، إما أن يكون به أو لا يكون، نصا يستطيع أن يتجاوز أعماله السابقة من حيث تقنية الكتابة ، نص يحتفل باللغة نص للغة ، ونص اللغة ، ونص من اللغة. إن "ذاك الحنين" تجربة سردية مارسها السائح بحب وألم وعنف، وهو نص صعب المراس يتحدى القارئ ويهاجمه منذ العنوان بلغة سردية كونت لنفسها جمالية خاصة لا تلين ولا تقدم نفسها في سهولة أو يسر"[1].

بالإضافة إلى ما قدمه البروفيسور محمد تحريشي، هناك دراسات الدكاترة: آمنة بلعلى، السعيد بوطاجين، الطيب دبة. حول

[1] محمد تحريشي، أدوات النص، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000، ص: 122.

متن رواية " ذاك الحنين" واعتبروها طفرة في الكتابة الروائية الجزائرية.

البهية تتزين لجلادها 2000م:

عاد الحبيب السائح مرة أخرى لكتابة القصة القصيرة فنشر مع مطلع القرن الواحد والعشرين مجموعته القصصية المعنونة بـ "البهية تتزين لجلادها" عن دار اتحاد الكتاب العرب سنة 2000. وهي مجموعة ضمت سبع قصص رتبت كما يلي: أحزان الحي السعيد، الخوف، شجر فقد ظله، صديقي الذي غادر، رسالة بريدية لم تبعث، يامنة، البهية تتزين لجلادها.

هذه القصص سيضاف لها لاحقا قصص أخرى فتعنون بـ: "الموت بالتقسيط" ، هي نصوص يشرع فيها الحبيب أبواب التساؤل عن القتل العبثي والموت الذي طبع المنازل والشوارع ليحصد أرواح الضحايا بأبشع الطرق، عبّرت عنه القصة التي اتخذها عنوانا للمجموعة "البهية تتزين لجلادها" أين تزينت أخت البطل لتزف إلى جلاديها وقتلتها وتسكن غصة الفجيعة أخاها وأمها كما سكان القرية الذين كانوا يزفون كل يوم أكثر من شهيد، إنها مأساة الموت الاعتباطي والخوف من كل شيء، صوره الحبيب السائح بكل وجعه

و كأننا نراه، يقول في القصة: "في رأس الجبل المطل على الدوار يكون امير المسلحين بمنظاره الميداني راقب حركة الموكب إذ بدأ يغادر المقبرة، فأصدر أمره بإطلاق رصاصة ، هي التي سلبت أختي بهجتها، أو حبل، أو خنجر، كانت السماء لها بردا، ليطير حمام ويمام وعصافير، وتفزع أرانب، كانت أختي تسكن في سفح الجبل، في يومها، تحت أولى ظلمة، يستعيد تشظيات لحظة الاشتباك الخاطفة المباغتة، وردات تهليل أصم في أذنيه، أخرس على لسانه كما جلاد أختي يصعقه جسدها البض يغصبه أجل التنفيذ والشاهدان واقفين، كيلا يغتصبها"[1]، فالخوف عمّ، بل و صار حقا مشروعا، " والموت اليومي حق، واغتصاب زهرة أختي حق، وحق هو الخوف من الفرح، والخوف حقيقة مخجلة، لم أخلق لأي إسعاد، نامت أمي بلا عشاء، وعادت تستحيي أن تكحل عينيها ، وأختي يجب أن تكون فائقة الجمال ، بهية تزينت لجلادها"[2].

[1] الحبيب السائح، البهية تتزين لجلادها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000، ص: 49-50.

[2] الحبيب السائح، البهية تتزين لجلادها، ص:52-53.

تماسخت ...دم النسيان 2002:

تماسخت، يحيلنا العنوان مباشرة إلى قصر تماسخت، ذلك البناء الطيني الذي تذكرنا أزقته بخطوات من عبروا، وتصاميمه الفريدة تعبق برائحة الأجداد وتقاليدهم. غير أن الحبيب السائح يعود إلى قصر " تماسخت" لا ليعيدنا إلى ذلك الزمن الجميل، وإنما ليذكرنا بجرائم فرنسا الموشومة على تلك الأرض الطاهرة، مستهلا روايته بقوله: " فسمعت صياح الديك يشبه عويل الريح في تماسخت يوم عُدت من رقّان مرعبا بهول التفجير"[1].

ونحن نتتبع أحداث الرواية وننتقل من مكان لآخر وكأننا نقتفي أثر حياة الكاتب الحبيب السائح أو كأنه سيرة ذاتية في قالب سردي مثّله شخصية البطل "كريم الصايم" وهو ينتقل من سعيدة إلى وهران، اختار له الكاتب مهنة الصحافة وهي المهنة التي كان يحبها الحبيب السائح ، وواحدة من بين أحلامه التي تمنى أن يبدع فيها (الصحافة، الكتابة، التمثيل).

إن مهنة الصحافة في الجزائر في فترة التسعينات كانت مهنة الأخطار والموت المؤكد، حصدت أرواح الكثير من الصحفيين ومن

[1] الحبيب السائح، تماسخت، دار فيسيرا للنشر ، الجزائر ، 2012، ص:03.

أصدقاء البطل كريم ليفرّ هذا الأخير بجلده إلى المغرب عبر القطار، ثم من الرباط إلى تونس مغتربا عن وطنه الجزائر، وهو ما حدث للكاتب نفسه فالقتل والتنكيل لم يقتصر على مهنة الصحافة فقط وإنما طال أيضا الكتّاب ليغترب الكاتب الحبيب السائح بالمغرب فتونس كما هو الحال مع بطل الرواية كريم. إنها غربة وصفها الكاتب بكثير من الألم والحنين ، و رحلة الواهم بأن الحياة خارج الوطن أكثر راحة وأمنا ، ليكتشف البطل أن العودة للوطن هي الحياة حتى وإن كان هذا الوطن مفخخا بكل أنواع الموت، فلا حياة خارج الأهل والبلد والديار مهما بلغت درجة الرفاهية في الغربة.

"تلك المحبة" سحر الجغرافيا وفتنة اللغة 2003:

قبل أن أكتب شيئا عن "تلك المحبة" تقديرا واعتبارا ووفاءً، فتحتُ الرواية فتسرّب الرمل بين يديّ، منقوشا بدقة بإحدى صفحاتها: "أنفتح لك كتاب محبة مخبوءا بين ضلوعي تقرئين فيه بحرف الماء وصوت الرمل ما كتبه النور في عيني"[1]. حينها، زاد يقيني أن الرواية ترتدي ثوب المحبة. جلست بدهشة أتأمل عالماً بالسحر

[1] الحبيب السائح، تلك المحبة، دار فيسيرا للنشر 2013، ص :34.

زاخرا، وباللغة المستعلية منسوجا، وبكل أنواع الخوارق والأساطير مفروشا.

وقفت منبهرة؛ لا ب«تلك المحبة" وحسب، وإنما بكل الأماكن والأحداث والأسماء التي لم تكن لترد اعتباطا داخل نص روائيّ راهن على اللغة فخرج بشكل خالب: تلك هي المحبة! أثّث لها الحبيب السائح من كل واحة نخلة حتى غدت واحات تحكي. وصرنا نحن القراء نتلذذ بلغة النخل والرمل والماء والحب: إنها الحياة في صحراء أدرار!

لا يمكن أن نتحدث عن "تلك المحبة" دون أن نقدم للقارئ الظروف التي كتبت فيها، والأرض التي ولدت من رحم عرقها ، "أدرار" مبعث الأمن والأمان و الأم الشرعية لتلك المحبة.

إن علاقة الكاتب بصحراء أدرار علاقة متينة يستعصي على العابر للكلمات أن يدرك معناها ، وحده الحبيب السائح استطاع أن ينسج لنا من تلك الأمكنة خيوطا متشابكة ، ومن زخم ذلك الفضاء الصحراوي عالما أشبه بالأسطورة في سحره وتنوعه، لتولد من تلك الأرض المباركة الطيبة رواية "تلك المحبة" فتكون عربون محبة لأدرار حيث اعترف بذلك في أكثر من مناسبة ، يقول: "وكاعتراف مني

بذلك الجميل الذي أهدتنيه إياه العناية وبالحضن الإنساني الذي قابلني به أهل أدرار، منذ أن نزلت بينهم، كتبت لها تلك المحبة"[1]، ومخطوطة محبة ظل القراء يحاولون تفكيك لغتها المقطرة، وفك طلاسمها في قراءات متعددة لا تختلف إلا لتعيد تركيب الرواية من جديد . ويضيف قائلا: "في حاضرة أدرار، شاءت لي العناية أن حررت سمعي وبصري وبقية حواسي لأدخل جنة الأصوات والكلمات والألوان والأنوار فأسمع صمت الأمكنة الناطق بظل الإنسان الذي مرّ، الذي يمرّ، وأقف على بقايا أثره في الطوب والماء وفي الخضرة والورق كما في الخيط النوراني الرابط بين الأرض والسماء ؛ فاكتشفت أن فضاء صحراء أدرار لا يشبهه فضاء صحراء أخرى"[2].

لغة الحبيب السائح، في "تلك المحبة" لغة تمتاز بالجمالية والحسن في التركيب. تجذب القارئ إليها قبل الموضوع، وكأنه يستقي كلماته من عالم آخر ومن قواميس جديدة لم تفتحها أنامل رواة

---

[1] الحبيب السائح، تاريخ الشعوب الحالي تكتبه الرواية، الجديد، الأحد: 28- 06- 2020.

[2] الحبيب السائح، تاريخ الشعوب الحالي تكتبه الرواية، الجديد، الأحد: 28- 06- 2020.

آخرين قبله. لغة تستوقفنا في عنوان الكتاب قبل محتواه. عنوان على شكل لغز لا يُفهم القصد منه أتعجبٌ هو أم استفسار أم إخبار؟ كذلك الأمر يبدو محيرا كلما تجاوزنا صفحة من صفحات الرواية.

فالنص من بدايته إلى نهايته يعتمد على أناقة اللغة وجماليتها حتى في تصويرها للمشاهد الأكثر ابتذالا، لأن السائح متمكن من العبث والتفنن مع الكلمات ومع مزاجها.

إن أبرز شخصية في رواية "تلك المحبة"؛ لما توافر لها من حضور أقوى، قياسا إلى بقية الشخوص، هي شخصية "البتول": المرأة، واهبة الحياة في الصحراء ودليل الرجل لعبور عالم الصبر. صورها الكاتب على قدر من الجمال الخلاق و النقاء الأبدي الذي لا يمكن أن يكون إلا لوطن، و بهذا أحب الكاتب أن يزينها لتبدو فوق كل مجال للمقارنة، يصور الكاتب من خلالها وطنا غلبت فيه آليات الجمال فأبى إلا أن ينتقي لها أروع ما جادت به اللغة ليكون لها الأثر البالغ على القارئ، فتقول ما يثير الدهشة في سياقات مختلفة. اختارها الروائي بدقة راسما أبعادها الثلاثة؛ الجسدي، الاجتماعي، والنفسي.

ولأن لغة الرواية تتجاوز أحيانا مخيلة القارئ، فإننا نشعر بالارتباك كلما حاولنا الحكم على هذه الشخصية؛ كأنما ظاهرها

ثابت وباطنها زئبقي لا يمكن الإمساك به. فلا نحن نجزم أنها فعلا بتول طاهرة عفيفة ولا نحن نقدر على رمْيها بما يحطّ من قدرها وشرفها؛ لأن الروائي أفسح إلى اللغة أن تقول ما وراءها لنروح نحن من خلالها نعيد نقل الشخصية من شكل لآخر.

تقوم "تلك المحبة" على تفكيك الواقع للعودة به إلى خليقته الأولى، وعلى تحويل واقعه إلى متخيل على مستوى المكان والزمان والشخصيات إلى حد أننا لا نكاد نفرق بينهما. اتخذ الروائي المتخيل الصحراوي سندا له في بناء روايته بما يمثله من حمولة دلالية ومن عجائبية. فقد سرد الروائي انطلاقا من بؤرة الصحراء كفضاء تكثر فيه الخوارق والعجائب. ووصف بما عكس الجانب الشعري الجميل لذاك الفضاء بواسطة استدعاء علاماته واستعمال استعاراته وتنويع مستويات لغته التي تستلهم من لهجة سكان منطقة أدرار، وتستنطق الرمل والنخل والطين، وترتفع في الحديث عن البتول إلى درجة لا تكون إلا لسلطانات؛ لغة تعمر الفلاة فتنصاع لها عناصر الطبيعة، في رهبة سكون وخشوع وصمت، لا نظير لها إلا في بيئة كأرض أدرار.

تلك هي رواية "تلك المحبة"! تنفتح على عدة قراءات تستحق البحث فيها عن أسرار لا تنتهي؛ كلما حاولنا التنقيب في لغتها، التي قطّرها الروائي تقطيرا فبهرنا بكل ما هو عجيب، راودتنا رؤية أخرى من زاوية أخرى لا تشبه سابقتها.

الموت بالتقسيط 2003:

يعود الروائي الحبيب السائح إلى كتابة القصة القصيرة ليصدر مجموعته المعنونة بـ"الموت بالتقسيط" التي طبعت أول مرة سنة 2002 بمناسبة سنة الجزائر في فرنسا، عن منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين بإشراف رئيس الاتحاد عز الدين ميهوبي، وبمطبعة دار هومة للنشر. إن هذه المجموعة ليست جديدة تماما وإن كانت فيها نصوص جديدة ، بل هي طبعة أخرى لمجموعته " البهية تتزين لجلادها" ضمت نفس النصوص [1]مضافا إليها ستة قصص جديدة : قصر العطشان، الموت بالتقسيط ، في انتظار عثمان، نوال، يوم في وهران، كمين.

"الموت بالتسقيط"، هذا العنوان الذي يحمل بين طياته دلالة الخوف والعدم و الفناء ، لكنه فناء لا يأتي دفعة واحدة فيريح صاحبه وإنما يحز رقبة انتظاره ليتعذب لحظة فلحظة قبل أن

[1]وهي العناوبن التي ذكرناها سابقا في حديثنا عن مجموعة "البهية تتزين لجلادها".

يموت كلية، إنها مرحلة اللاستقرار وانقلاب الموازين وانتشار الفوضى التي أعقبها دمار للقيم وللإنسانية.

ضمت المجموعة ثلاثة عشر قصة قديمها وجديدها فكانت كالتالي: أحزان الحي السعيد، شجر فقد ظله، صديقي الذي غادر، الخوف، رسالة بريدية لم تبعث، يامنة، البهية تتزين لجلادها، قصر العطشان، الموت بالتقسيط، في انتظار عثمان، نوال، يوم في وهران، كمين.

إنها نصوص تعمق مفهوم الموت في وسط لم يعد للحياة فيه معنى، تحفر في عمق الذات لتشي بفراغات الفناء التي يتركها فينا موت الرغبات، موت الأحلام، موت الأمل ... بل موت الإنسان نفسه. كلما توغلنا في القراءة كلما خنقتنا أزمة الموت التي نثرت بين الصفحات حتى لكأننا نلتحف لأجلها السواد، كثيرة الحضور بإلحاح من يعقد العزم على تدمير كل ما كان جميلا بهذا الوجود، فكانت قصة "صديقي الذي غادر " كما باقي قصص الرواية تعكس تيمة الموت بكل مرارته: "نثره الموت.' هي النهايات سيد الرجال' وأما الشعر

فما حفظته الأصوات (...) كيف لم أقو على البوح؟ أي أنانية هي التي لا يقهرها غير الموت، أي دَين، أي عبء؟"[1].

يقول الناقد "قلولي بن ساعد" إن السائح الحبيب يتميز في التعامل مع تيماته وموضوعاته بدقة ، إذ " تحضر تيمة الموت في هذه المجموعة القصصية كجزء من البنية الفنية والدلالية للنص، وليس كموضوع خارجي يطفو فوق سطح النص، بل على العكس من ذلك"[2]، إنه يجعلنا نعيشها وكأننا أحد شخصيات تلك القصص تلفنا هالة من ذهول يخلفه ضياعنا أمام مشاهد الموت المادية منها والمعنوية. ولا يتأتى ذلك التماهي مع الشخصيات والتعاطف معها إلا ببراعة الكاتب الذي يجعلنا لا نشك للحظة أن ما يسرده علينا ليس أحداثا حقيقية وأنها محض تخييل لشخصيات وأحداث نسجها مشابهة لما نعيشه أو نشاهده أو نسمع عنه.

مذنبون لون دمهم في كفي 2009:

[1] الموت بالتسقيط ، الحبيب السائح، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، 2002، الجزائر، ص: 34، 36.

[2] قلولي بن ساعد، أسئلة النص وأسئلة الثقافة، القراءة النصية والقراءة الثقافية، دار الوطن اليوم ، 2020، ص: 48.

"مذنبون"، هكذا اختار الروائي عنونة نصه، مضيفا "لون دمهم في كفي"، كأنما يتوعدهم لذنب اقترفوه، وهو ما يتبدى لنا فيما بعد لنعرف أنهم فعلا، ورغم قرار العفو، سيظل هؤلاء مذنبين ولا شيء يغسل ذنوبهم سوى قتلهم ومحاكمتهم.

يحاول الروائي منذ البداية لفت انتباه القارئ وهو يخبرنا على لسان أحمد بأن الأوراق التي تركها رشيد على مكتبه تصلح لأن تكون رواية وأن تدوّن في كتاب، مشيرا في المقطع الأول للفصل الأول إلى لحظة الحاضر التي يستذكر فيها أحداثا مضت، عكست الفترة الدموية أو العشرية السوداء التي عانى فيها الشعب الجزائري، أي بعد انتهاء المرحلة عقب قرار المصالحة الوطنية الذي اختلطت فيه المفاهيم وأدخلت الشعب في حسابات جديدة ومواقف متباينة فيما يخص هذا القرار الجديد.

حاول الكاتب أن يبين أن قرار العفو لم يكن مرحبا به بتلك السهولة من طرف الشعب ، وأنه قد خلف شرخا كبيرا لدى عائلات الضحايا، إذ كيف يستمرون في العيش وهم يرون الجاني الذي حرمهم من أعز أحبتهم ،يمشي كأن لا ذنب له ، ولم يكتف الروائي باستعراض آراء مختلفة للشعب بمختلف شرائحه، من الضابط

العامل بقطاع الدولة إلى المواطن العادي البسيط، بل يضيف أيضا رأي النخبة المثقفة حينما يذكر رأي الطبيب الجراح خالد بعد كشفه عن جثة السفاح لحول: "لما كشفت عنه، تذكرت أن الله عادل، كان وجهه مشوها بفعل رصاصتين"[1] ، ولا يكتفي الشعب بذلك بل يستنكر أن يدفن سفاح مثله في نفس المقبرة جنب الذين ذبحهم بوحشية.

الكاتب وهو يسرد الأحداث لم ينس أن يكشف للقارئ بعضا من ذلك الألم الدفين والحقد الذي تولّد لدى أهل الضحايا، صحيح أن قرار المصالحة الذي تبنته الدولة قد ساهم ولو إلى حد ما من تحقيق الاستقرار والأمن السياسيين ، وصحيح أيضا أن الأغلبية قد رحبت بهذا القرار في سبيل المصلحة العامة ، خصوصا عند سكان الجنوب الذين لم يمسهم الإرهاب بالشكل الذي مسّ مدن الشمال ، وبالتالي ما كان ليتسنى لهم معرفة ما يشعر به رشيد وأمثاله ، والأكيد أن القارئ يشعر أثناء قراءته للرواية كيف يكون الأمر صعبا على رشيد وعلى من عانى معاناة رشيد، بل وكيف سيتحولون من مواطنين صالحين إلى مجرمين، والأسوأ من ذلك كله وأمرّ، أن يصبح رشيد مطالبا من طرف الشرطة ليُنفذ فيه حكم

[1] رواية مذنبون،ص:35.

القاتل بينما القاتل الحقيقي الذي لم يرحم ضحيته حتى في طريقة القتل ، يمشي حرا طليقا لا من يتهمه أو يدينه ، وهنا ينتبه القارئ ويقع هو الآخر ضحية التحليل والتركيب في سبيل الوصول لحقيقة مقنعة تجعله قادرا على التمييز بين القاتل الحقيقي الذي يستحق القصاص والقاتل الذي دفع إلى القتل من أجل تحقيق العدالة (القصاص)، وكيف أن الموازين انقلبت وصارت مختلة إلى هذا الحد الرهيب الذي يتوقف عنده العقل ويغيب فيه المنطق.

يعود الروائي كأنما ليستدرك، مبينا للقارئ النواة الأولى لظهور هؤلاء المتطرفين، ثم كيف تطور أمرهم، وبداية إطلاقهم الشعارات لإقامة دولتهم المزعومة .

لعل محور الرواية كان حول قرار العفو الذي دفع ضحايا الإرهاب ثمنه، رغم تهدئته الوضع آنذاك، على الرغم من استنكاره من قبل المواطنين ،"كيف يأتي أشخاص لم ينزلوا من السماء هم من طينتنا وديننا فيستبيحوا أرواحنا ثم يأتي غيرنا فيعفو عنهم من غير جزاء؟"[1].

[1] رواية مذنبون، ص:133.

هكذا عالجت الرواية قرار العفو وما انجر عنه، من خلال عرض الموضوع مكشوفا أمام القارئ، محللا منقبا عن الأسباب والنتائج التي انجرت عنه، إنها صورة عاكسة لفترة تاريخية ستظل محفورة بذهن كل مواطن جزائري.

زهوة 2009:

تعتمد رواية زهوة على طريقة الاستذكار والاسترجاع من خلال المجلدات الستة عشر التي كتبها إدريس، وسعى إليها فيما بعد ابنه يوسف مقتفيا الأثر رفقة عبد النور، ليكمل هذا الأخير كتابة السجل السابع عشر بعد أن يتولى مهمة المقام "وضع عبد النور، خلال هجعته الأخيرة في الخلوة، القلم والسجل السابع عشر جانبا"[1]، معتمدا في سرد الرواية على ضمير المتكلم الذي يعود تارة على عبد النور وطورا على إدريس، يقول عبد النور :"آه يا بدن، أينا حمل الآخر؟ أينا عجز الآن؟ ها وصب الزمان رمانا كلينا على شاطئ العودة. من سيتخلى عن الآخر؟ لا أعرف إلى أين سيغادر عقلي."[2] غير أن هذا الضمير يتناوب على عملية السرد مع ضمائر الغائب التي تسهم هي الأخرى في هذه العملية "عين رضوان لا تغمض على

[1] رواية زهوة،ص:05.

[2] رواية زهوة،ص :06.

بنت عالية ، التي من شدة تعلقه بها، كما تعرف أمها وجدتها، يكون أظهر أنه مستعد لأن يفديها بدمه."[1]

من الشخصيات التي انبنت عليها الرواية من البداية، شخصية يوسف، الفتى النبيل الذي يرتحل مع عبد النور بغية معرفة أصوله ومقر أجداده الأولين، هو صوت للشاب الجامعي المثقف الذي لا يقتنع بتقبل الواقع كما هو بل يحاول البحث عن أسراره وخباياه. يوسف جعله الروائي من سلالة نقية ،لا يتكلم ولا ينطق إلا لاستفسار ولمعرفة، كأنما يريد الروائي أن يعكس درجة وعيه داخل مجتمعه، تلتقي شخصية يوسف بشخصيات أخرى أسطورية لا تبدو لغيره مثل شخصية الشيخ الذي استقبل يوسف وشخصية زينة التي التقاها بالمقام وروح ماريا النصرانية وغيرهم،كأن الروائي استعان بتلك الشخصيات العجيبة من أجل أن ينير الطريق ليوسف الذي خرج لهذا السبب. ترافقه شخصية عبد النور أستاذ التاريخ، من خلاله يتمكن يوسف من الوصول لوالده، عن طريق تتبع الأثر.

فهو مَن دوّن السجل السابع عشر بعدما أنهى قبله إدريس السجل السادس عشر.

إلى جانب صوت يوسف وعبد النور، نجد إدريس والد يوسف هو أستاذ في الشريعة، قهرته فتنة عزيزة فتزوجها، ولما لم

[1] زهوة،ص:216.

يستطع مقاومة فتنتها طلقها متوجها إلى الصحراء، مفنيا بقايا عمره بين جنانها وخلوتها التي اتخذها ليتذكر فيها عزيزة.

يتواصل تداخل الشخصيات وارتباطها ببعض حد الانفصال، حتى ليخيل للقارئ أنه أمام جمع من الرواة يسردون عليه قصة يوسف، بين واقعي ومتخيل تَمّ نسجه باحترافية لا تجعلنا نشك للحظة أنها مجرد رواية منبعها الخيال. بطلها "يوسف" هذا الاسم الذي يحيلنا مباشرة إلى سيدنا يوسف، تتقاطع الإحالة فيه من خلال قصة سيدنا يوسف الذي عاش محروما من رؤيته والده كما كان الحال عند يوسف شخصية الرواية، حيث عاش حياته محروما من حنان والد طيب كريم، تشهد له كل المخلوقات على كرمه ومروءته وعلمه وحلمه، ولم يغفل الروائي أن يجعل هذه الشخصية على قدر من الحسن والجمال ، اختار له الروائي هذا الاسم ليحيلنا إلى ما يشبه قصة يوسف، لعل وجه الشبه الحقيقي إضافة إلى فتنة الجمال والفراق الطويل، أو الأصح، لعل المغزى من توظيف هذا الاسم هو الحب الكبير الذي يؤدي عن غير قصد إلى تفرقة الأحبة، فكما كان حب سيدنا يعقوب لابنه كبيرا لدرجة أوقدت نار الغيرة في قلب إخوته، كذا كان حب إدريس لعزيزة كبيرا لدرجة تجاوزت احتماله فقرر البعد خوفا وهربا محافظا على ناره متّقده في قلبه لآخر أيام عمره.

كان إدريس دائم البحث عن الحقيقة ،كما صار بعده عبد النور، ولم يكتف إدريس بذلك بل قام بالابتعاد بذاته عن هذا العالم الدنيوي ، هذا الفضاء اليومي الذي تتدنس الذات به كلما توغلت فيه،إنه عملية تصفية الذات بإخراجها من هذا الدنس ومن هواجس النفس وطمعها الدنيوي ،هو وعي صوفي تولد لدى إدريس لكثرة بحثه وسعة معرفته بالحياة لدرجة جعلته يزهد فيها متخذا من المقام مقاما للابتعاد والخلوة وحديث النفس

تنتصر الرواية في النهاية لسلطة المقام الروحية، تلك السلطة التي تؤمن بالاختلاف وتبتعد عن التطرف من خلال حقيقة الإيمان التي يجسدها إدريس وعبد النور عبر وعيهما. هذا الاختلاف هو الذي يجعل الصراع طبيعيا ومحمودا في كثير من الأحيان.

الموت في وهران 2013:

تتمحور رواية "الموت في وهران" حول شخصية هواري الذي يسجل يوميات من حياته في وحدة قاسية، تعود إلى فقْد أمه وهيبة بوذراع وغياب صديقته بختة الشرقي، داخل شقته التي على بابها يسمع أخيرا دقات حثيثة فيقوم. حينها، نتذكر أن الطارق كانت بختة التي، بكل سحرها وشوقها ودفئها، تدخل على هواري فيحضنها مجهشا "أنت أمّيمتي."[1].

[1] رواية الموت في وهران، ص:09.

يفتتح الحبيب السائح روايته باللحظة الأخيرة التي يضيفها هواري إلى مسودة يومياته ويضع القلم لتنتهي الأحداث في الصفحة العاشرة بعد أن رجعت إليه بختة لتهديه ليلتها وتحتفل معه بعيد ميلاده الرابع والعشرين "حين تفيق، سنحضر قطعة الحلوى بأربع وعشرين شمعة. ومساءً، ننزل فأمرّ بها على رصيف بائعي الورد في ساحة هوش(سابقا)"[1] ؛ لنذهب، بشكل دائري، في رحلة الفناء والانبعاث.

رواية "الموت في وهران" ذات عنوان مربك، مقلق ومستفز أيضاً؛ إذ كيف لمدينة كوهران مليئة بالحياة، بل بالهاء أن تكون فضاء للموت! إنها مفارقة ذات دلالة على "الموت" بكل أبعاده وأشكاله؛ كما عرفته وهران وباقي الجزائر في فترة المأساة الوطنية التي يتخذ النص منها زمنا.

لعل أول تساؤل يتبادر لذهن القارئ هو: لمَ اختار الروائي وهران بالتحديد مكانا؟ هل لكونها أكثر مناطق الغرب الجزائري حيوية؛ بساحلها الخلاب، وبنشاطاتها المختلفة، وبحياتها النابضة بمتناقضات المدينة، وبجاذبيتها التي تقهر الموت؟ أم هناك سبب آخر لم ندركه بعد؟.

[1] الرواية، ص: 10

ليس من الهين أن نستحضر أدوات اللغة الروائية فتستجيب. لكنها مع الروائي السائح الحبيب تنصاع بشكل رهيب؛ إنها بقدر ما تتباعد في التماثل بين رواية وأخرى من رواياته بقدر ما تترك لدى القارئ بصمتها المتفردة، مشكلة قاموسها الخاص بكاتبها. ففي "الموت في وهران" تسكن اللغة الأماكن والأشياء والأشخاص فتصف وتحاور وتغري القارئ باقتفاء آثار "هواري" و"بختة "؛ بحثا عن مقهى "الوداد" عن بقايا الودّ من أحاديث عبدقا النقريطو وهواري، وعن حانة "فالوريس" و"النّسير" و"قوميس"، وعن شاطئ الأندلسيات المسكون بعطر بختة، وعن حافة سياج "فرون دومير" الحزين المفتوح على نسائم البحر المتوسط. أماكن وأشخاص، لدقة وصفها نحس كأننا نراها أمامنا ماثلة أو هي تغدو وتروح.

لغة "الموت في وهران" صارمة ومنتقاة بدقة، إذ لا تكاد تترك للقارئ مجالا للشك حول حقيقة المشاهد وحول كون الشخصيات محض افتراض لا غير، برغم التنبيه الوارد في البداية إلى أن أي تطابق لها في الواقع لن يكون سوى محض صدفة. لغة عميقة الدلالة متفردة أسلوباً وتركيباً.

إن الزمن في رواية في "الموت في وهران" كما المكان وحياة الشخوص، يبدو كله مفككا؛ القارئ هو من يعيد لملمة الكل لتحصل هذه العلاقة بينه وبين الكاتب في إعادة التركيب الشاملة للنص زمانا ومكانا وشخوصا وأحداثا: إنه الهدم للخطية.

ظاهرة الفناء "الموت في وهران" تتلازم استمرارا مع الانبعاث. لكأن الحبيب السائح أراد أن يقول إن الحياة، برغم جمالها وأسرها وفتنتها، لا تستقر على حال؛ إنها أيضا حزن فرح متناوبان على وجود الإنسان؛ إنسان مشدود دائما إلى الفرح، كما جاء على لسان عبدقا النقريطو "وقت للحزن انتهى، ووقت للفرح يأتي دائما!"[1].

كولونيل الزبربر2015:

"كولونيل الزبربر" رواية صدرت عن دار الساقي ببيروت، سنة 2015، هي رواية ارتكزت على جغرافية المكان، متخذة من "جبل الزبربر" معبرا للتنقيب عن حقائق تم تجاوزها والسكوت عنها، أو بالأحرى محاولة تناسيها، اختارها الروائي بغية تسليط الضوء على هذا المكان الذي اختلفت دلالته -من زمن الثورة إلى زمن القتلة - إلى النقيض تماما، فبعدما كان هذا الجبل فضاء مقدسا لالتقاء كتائب جيش التحرير الوطني بين 1954م و1962م، ورمزا من الرموز الشاهدة على حب الوطن والذود عنه، أصبح مع مطلع التسعينات 1992م وكرا ومعتقلا للجماعات المسلحة التي طمست حقائق هذا الوطن ودنست قدسية هذا المكان.

[1] رواية كولونيل الزبربر، ص:91.

لم تقتصر الرواية على حقبة زمنية واحدة، وإنما جمعت بين أزمنة مختلفة ؛ بين زمن الاستعمار، وما بعد حرب التحرير الوطني لتمتد إلى فترة التسعينات (العشرية الدموية).

" كولونيل الزبربر" رواية جريئة أثار من خلالها الكاتب ما كان مسكوتا عنه أو ما كان سيُفهم عكسيا لو أنه أثير في وقت سابق، خصوصا ما تعلق بالأخطاء والتجاوزات الداخلية بين أبناء شعب جمعته غاية واحدة وهي تحرير الوطن، يقول: " في "كولونيل الزبربر"، قصدت أن أطرح على حرب التحرير وعلى المحنة الوطنية أسئلتي الشخصية التي أرجئت عندي نظرا إلى الرقابة القبْلية التي كانت سائدة، وإلى قلة المراجع والمصادر وانعدام وسائط الاتصال، وأيضا صمت الفاعلين في حرب التحرير، لحسابات سياسية أو تخوفا من ردات فعل، أو تجنبا لإثارة ما يهدد "بالمساس بقداسة ثورة التحرير"[1].

ووصف الكاتب واسيني الأعرج رواية "كولونيل الزبربر" بأنها "رواية عظيمة تم تجاهلها إلى حد ما في الجزائر. إنها بيان للنقاش.

[1] https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2015/3/10

الكاتب يخبرنا من خلالها أن كل شيء يجب أن يكون موضع تساؤل"[1].

من قتل أسعد المروري 2017:

تدور أحداث الرواية في مدينة وهران سنة 2011 . يبدأ السرد من لحظة "اختفاء الأستاذ الجامعي بجامعة وهران والناشط الجمعوي 'أسعد المروري' يوم الثلاثاء السابع عشر أفريل ألفين وواحد"[2] مدة أربعة أيام، ليتم العثور على جثته مقتولا في مقر الحزب الذي ينتمي إليه.

من هنا تتشكل أحداث الرواية وتتفرع بحثا عن جواب لهذا السؤال الذي ظل عالقا بدهن صديقه الصحفي "رستم معاود"

---

[1] من منشور الحبيب السائح على جداره بالفضاء الأزرق يوم 05 أكتوبر 2021 استهله بقوله: الصديقات والأصدقاء،أسعد بأن أضع بين أيديكم المقال الذي سبق أن قاسمتكم إياه، هنا يوم 02 أكتوبر 2021، في لغته الأصلية، والذي خصصته Chroniques Algériennesلجانب من مساري الأدبي .
وها هو في ترجمته إلى العربية.أملي أن تكون الترجمة بمستوى النص الأصلي (مع الخيانة، طبعا!).

[2] تجليات الزمكان في بنية الخطاب السردي، دراسة تطبيقية في رواية من قتل أسعد المروري، توتاي سيف الله هشام، دار المثقف، الطبعة 1، 2021، الجزائر باتنة، ص: 100.

فيحاول تقفي الأثر للوصول إلى خيط يدل على القاتل، خصوصا وأن الشرطة كانت تحاول التكتم عن بعض تفاصيل الحادثة وما يتعلق بمعلومات الضحية.

يستطيع "رستم" لاحقا بمساعدة صهره مفتش بالشرطة القضائية وحبيبته الطبيبة الشرعية "لطيفة" التي تتولى مهمة تشريح الجثة وتقديم تقارير طبية لرستم، أن يتأكد من تعذيب الضحية قبل قتله، وهو ما حاولت الشرطة إخفائه وطمس حقيقته.

يرتبك القارئ وهو يشاهد عن كتب أحداث رواية مزجت السياسي بالتاريخي ملغزا دون اعتماد نمط خطي في السرد. رواية سبق وسمعنا بعضا من أحداثها في الواقع، خصوصا ما تعلق بمقتل الأستاذ الجامعي، هذ الخبر الذي ظل يتصدر عناوين الصحف والمجلات أيام وقوعه، ألبسه الكاتب ثوبا من خيال ليصرفنا عن الوقوع في المطابقة بين الحقيقي والمتخيل.

تتواصل عملية البحث عن القاتل لتتوالد الفرضيات بشكل يُصعّب علينا معرفة السبب الحقيقي للقتل خصوصا حين تطرح فرضية جديدة تم التوصل إليها في احتمالية القتل بسبب علاقة

مثلية مع أحد طلبته، هو الأمر الذي يعود بنا إلى السؤال الملح: هل كان القتل سياسيا تم تلفيقه بتهمة المثلية ليبدو دفاعا عن النفس ويتم غلق القضية؟ أم هو اغتيال سياسي لكل من خالف في الرأي وعبّر عنه ونشط في سبيل الدفاع عن فكرته؟.

رواية " من قتل أسعد المروري" هي صورة للواقع السياسي بالجزائر، واقع يشوبه الكثير من الغموض، يختلف ظاهره عن باطنه ليصل في كثير من الأحيان إلى النقيض.

إن موضوع الرواية يلخص "الحركة اليسارية في الجزائر، والتحديات التي تواجهها، وغياب العدالة، في ظل سيطرة أجهزة الأمن والاستعلامات، ورغم أن هذا الموضوع ثقيلٌ على عملٍ أدبي، لكن الكاتب اختار حبكة بوليسية ليقدم من خلالها هذه الأفكار، وضفرها بعلاقات إنسانية مشرقة، وجمع ذلك كله بلغةٍ أدبية عالية، فخرج من فخ المباشرة أولاً، ومن فخ التوثيق ثانياً خاصة أنه اعتمد على حادثة حقيقية لكنه ألبسها لبوس الخيال، خالقاً علاقات شخصية بين الأطراف ذات الصلة بالقضية، ليعبّر من

خلالها عن خطاب المؤسسات التي تنتمي إليها كالإعلام والأجهزة الأمنية..."[1].

هكذا عالجت الرواية جانبا من محاولات القمع السياسي وبتر يد حرية الرأي كي لا تتطاول وتمتد لاحقا. اختار لها الروائي بطلا على درجة من الثقافة والوعي (أستاذ جامعي) كأنما ليقول إن القمع لم يستثن حتى أولئك المثقفين الذين كانوا يحاولون التغيير ويطمحون إلى تجسيد رؤاهم الفكرية على تنوعها واختلافها، فلا مكان إلا لمن أرادوا له مكانا على مقاسهم وشاكلتهم.

أنا وحاييم 2018:

رواية "أنا وحاييم" صدرت عن دار ميم الجزائرية بالاشتراك مع دار مسكيلياني التونسية سنة 2018 ، استطاعت هذه الرواية أن تجد لها مكانا ضمن القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية في عام 2019، وتفوز بجائزة "كتارا" للرواية العربية في الدورة الخامسة عن فئة الروايات المنشورة في العام نفسه.

---

[1] الخميس, 25 يناير, 2018
"من قتل أسعد المروري"... رواية سياسية بنكهة بوليسية - صحيفة الجامعة
https://qau.edu.ye/journal/9849

بطل الرواية "أرسلان حنفي" ابن رئيس قبيلة وقائد بمنطقة سعيدة ينتقل إلى الدراسة بالمدينة، بابتدائية تضم أبناء الأوربيين.

يتعرف " أرسلان" على ابن جارهم اليهودي "حاييم بن ميمون"، طفل بنفس عمره، يتشاركان الطفولة، يكبران معا إلى أن يصيرا شابين في الجامعة، تستمر هذه العلاقة لينضما معا إلى الثورة والنضال من أجل تحقيق الاستقلال.

هذه العلاقة صورها الكاتب "الحبيب السائح" في بعدها الإنساني بعيدا عن اختلاف العرق أو الديانة، يقول: " في رواية 'أنا وحاييم' سعيت إلى إظهار العلاقة التي يمكن أن تربط إنسانا إلى إنسان آخر من وطن واحد على ديانتين مختلفتين (...).لم تكن هناك حدود تعايش فاصلة، إتنيا ودينيا بين المسلمين وبين اليهود في الجزائر، قبل الاحتلال وقبل قانون 'كريميو' (1870). فأنت إذ تعود إلى تلك الفترة وحتى عشية حرب التحرير لا تجد هناك فرقا واضحا بين الطائفتين في الجيرة وفي اللغة واللباس والغناء؛ خاصة عند اليهود الجزائريين أصلا. إنما الذي كان سيحدث الشرخ هو قانون 'كريميو' وهو أيضا الحركة الصهيونية التي نشطت في الجزائر غداة نهاية الحرب العالمية الثانية وخلال حرب التحرير لتهجير اليهود الجزائريين إلى فلسطين التي كانت احتلت في 1948. وبرغم ذلك، وكما تناولته رواية 'أنا وحاييم' بقي في الجزائر يهود من أصول جزائرية أو يهود من الأقدام السوداء شاركوا في حرب التحرير. فمنهم

من استشهد ومنهم من نفي أو سجن بعد الاستقلال لمعارضته انقلاب 1965، مثلهم مثل بقية الجزائريين. هذا ما تقوله، أيضا، رواية 'أنا وحاييم"[1].

تنوعت أماكن الرواية بين سعيدة، معسكر، الجزائر ووهران، استهلها الروائي بتذكر البطل لأيام طفولته بسعيدة، تلك التي حدد لها التاريخ بدءا من 1944 وصولا إلى الاستقلال.

"أرسلان" ابن القائد كان يتعرض رفقة صديقه "حاييم" للعنصرية من طرف أبناء الأوروبيين، فيوصفان بالأهالي أو الأندجان، ولم يشفع لحاييم حمله الجنسية الفرنسية، فقد ظل كما "أرسلان" يعيش تلك المضايقات التي عوضاها باجتهادهما ومواصلة دراستهما ليلتحقا بالإكمالية فالثانوية بمعسكر، دون أن يتغير مسار علاقتهما التي ظلت قوية ثابتة لا تغيرها الظروف ولا الأزمات .

---

[1] الحبيب السائح: تاريخ الشعوب الحالي تكتبه الرواية، الروائيون الجزائريون واجهوا رواية الأقدام السوداء.الأحد 28/06/2020 (الجديد)الحوار نُشر بالاتفاق مع" الجديد "الثقافية الشهرية اللندنية.
https://alarab.news

يفتك الصديقان البكالوريا بجدارة لينتقلا معا إلى العاصمة من أجل مواصلة الدراسة بالجامعة، أين يختار "أرسلان" تخصص الفلسفة و"حاييم" الصيدلة. هناك تتسع أفق التفكير لدى الصديقين وتتضح الرؤيا ليتعرفا لاحقا على "الصادق هجاس " و"حسيبة وصال"، وتتبلور لديهم فكرة مناهضة الاستعمار وضرورة تحرير البلاد.

بعد سنة من تخرجه يلتحق "أرسلان" بجبهة التحرير الوطني ويفتح "حاييم" صيدلة لإمداد الثورة بالدواء . تستمر الأحداث في مشاهد صورها الكاتب وكأننا نراها معبرا عن فرحة الشعب بالانتصار الذي انتظره طويلا، وكيف أصبحت الحياة بعد ذلك إلى أن يُشيّع "أرسلان "جثمان صديقه "حاييم" إثر إصابته بسرطان الدم، ويودعه بمقبرة اليهود بسعيدة.

ما رواه الرئيس 2020:

"ما رواه الرئيس" رواية كتبت بالموازاة مع حيثيات الحراك الشعبي فبراير 2019، تبدأ الرواية من استدعاء الرئيس "صالح الزغبي" الرجل الثمانيني المحال على التقاعد الذي يبحث عمن يدون مذكراته، ليقع اختياره على شخصية "معين العروي" أستاذ الإعلام

والاتصال بالجامعة، فيضرب موعدا كل سبت يتم فيه تسجيل وكتابة ما يرويه الرئيس.

تتشكل الرواية من نسيج حواري بين شخصيتين: "الرئيس" الذي يسرد الأحداث دون ترتيب وفقا لما تستدعيه محاور الحديث، و"معين" مدون مذكراته الذي كان يقاطعه أحيانا بأسئلة تغير مسار السرد فيعودان إلى التاريخ وإلى النبش في أحداث كثيرة تتعلق بالثورة، سبق وذكرها الروائي الحبيب السائح بطريقة أو بأخرى في رواياته، خصوصا ما تعلق منها بالخيانات و التصفيات أثناء الثورة وبعدها، كما يعرض جانبا من سيرة الرئيس الذي تتشظى لنا ملامحه لاحقا فنكتشف شخصيتان معا شخصية الرئيس وشخصية الزعيم.

لا يغفل الروائي عن ذكر الأحداث السياسية التي ظلت تتفاقم دون سعي من الدولة لإيجاد حلول جذرية إلا ما كان سطحيا وتفشي الفساد الذي نخر اقتصاد البلاد، يذكر منها قضية بنك الخليفة، الطريق السيار وغيرها، هو الأمر الذي طفا على السطح وانفجر لاحقا حراكا سلميا يهدف إلى التغيير.

تصنف رواية "ما رواه الرئيس" ضمن الكتابات السردية السياسية ذلك أنها نقلت "الواقع السّياسي بكلّ تفاصيل أحداثه ونتائجه وتحليلاته، دون أخذ مسافة زمنية من الحدث الواقعي، لتصبح كأنّها حراك موازٍ للحراك الشّعبي الجزائري الذي انطلق في 22 فيفري 2019، فهي بمثابة حراك أدبي يؤرّخ لتلك اللّحظة الحماسية التي خرج فيها الشّعب الجزائري مطالبا بالتّغيير، لا سيما وأنّ الرّوائي مقتنع بأنّ الرّواية كفنّ أصبحت تكتب تاريخ الشّعوب، لذلك لم يشأ أن يفوّت فرصة تسجيل لحظة انتفاضة الشعب الجزائري من أجل التّغيير"[1].

وأنت تقرأ رواية "ما رواه الرئيس" تشعر أنه سبق لك وعايشت تلك الأحداث أو سمعت عنها، أو عبرتْ عناوينها نشرة الأخبار، إنك تشعر بالانتماء لهذه الأماكن، ترى حقيقة ما يجري من تمويه سياسي، من فساد، خصوصا ما تعلق بعهدة الرئيس

[1] ما رواه الرئيس: إسقاط الزعامة ،فاطمة بن أحمد، من صفحة الروائي الحبيب السائح على الفيسبوك، يوم:04 أبريل 2022

الخامسة التي تحيلنا مباشرة إلى الواقع لولا ابتكار أسماء لا تطابق الواقع.

يعري الروائي بعض الشخصيات النافذة في السلطة التي تتاجر بأجسادها وشهواتها طمعا في الظفر بمناصب وترقيات، مصورا مشاهد خليعة تشمئز منها النفس، وهو بذلك يكشف مدى العفن الذي سكن عقولهم المتحركة بقيادة الشهوة والطمع.

نزلاءالحراش2021 :

"نزلاء الحراش" هي آخر إصدارات الحبيب السائح، الرواية من 304 صفحة، تنتمي إلى أدب السجون أين يقوم الراوي بتصوير حياة السجن وما يعانيه المساجين، وكيف تمر أيامهم هناك.

رواية "نزلاء الحراش" ذات الغلاف الباهت الذي يعكس رسمه مجموعة من المساجين اصطفوا بشكل دائري، وكأن حياتهم هناك يوم يتكرر في حلقات، صُبغت وجوههم بالبؤس والكآبة وقد لفّهم سور مرتفع لا يبين منتهاه.

تدور أحداث الرواية حول شخصية "فيصل الشملول" وصديقته "نبيلة المرملي" صحفيان في جريدة معارضة. تنطلق

أحداث الرواية من لحظة اغتيال "محمود شملول" الأستاذ الجامعي أخ الصحافي فيصل، أين يتم إطلاق النار عليه أمام منزله سنه 1999 من طرف "عبد المعطي كرّاف" الذي يكني نفسه باسم "أبي قتادة"، وهو نفسه من قتل والد "نبيلة المرملي" بتهمة الكفر.

يستفيد القاتل "عبد المعطي كرّاف" لاحقا من قرار المصالحة الوطنية، فينزل من الجبل ويعود لممارسة حياته الطبيعية وكأن شيئا لم يكن، ما يثير غضب الحسين أخ الصحفي فيصل والمقتول غدرا "محمود" ليبدأ في التخطيط لقتل "كرّاف".

يتمكن الحسين من القصاص لأخيه بقتل "عبد المعطي كراف" ثم يسلم نفسه للشرطة ليكون أول نزيل بسجن الحراش، نتعرف من خلاله على الحياة هناك، غير أنه يتمكن من الفرار بعد تقديمه رشوة ويسافر عبر الحدود الشرقية للبلاد بجواز سفر مزور.

تتوالى الأحداث، تظهر قضايا وتختفي أخرى، ليتصدر المشهد اغتيال آخر تمثل في جريمة قتل أستاذة جامعية ناشطة سياسيا من أجل التغيير والديمقراطية، هو الأمر الذي يذكرنا بأول الثلاثية "من قتل أسعد المروري". بينما يواكب فيصل ونبيلة أحداث الحراك ويقومان بتغطيات صحفية حوله.

تتخلل الرواية بعض الأحداث التي تعود إلى حرب التحرير وعلى لسان "منصور" والد فيصل، نعيش أجواء سجن الحراش نفسه في زمن غير هذا الزمن، ويصبح نزيلا آخر.

يستضيف سجن الحراش لاحقا سجناء من العيار الثقيل وزراء وضباط ورجال أعمال.يقول الروائي الحبيب السايح "إن روايته "نزلاء الحراش" تتوقف عند سجناء لهم صلة بالفساد السياسي والمالي في تاريخ بلاده المعاصر، الذين يجمعهم السجن الأكثر شهرة في الدولة[1]".وأشار إلى أن روايته تتحدث عن السجناء المدانين في مختلف الجنح والجنايات والجرائم المدنية والسياسية، "الذين يجمعهم السجن الأكثر شهرة في الجزائر من حيث سمعته وقسوته وتاريخه، الذي يعود إلى الحقبة الاستعمارية الفرنسية (1830.1962)"[2].

سجن الحراش، ذلك المكان الذي يعلمك الوحشية والعنف لتخرج منه أكثر قسوة وقد اكتسبت كل مكر العالم وحقارته "إنها

---

[1] نزلاء الحراش".. رواية عن أشهر سجن جزائري يجمع رموز النظام السابق" https://www.yenisafak.com/ar/world/3555921

[2] "نزلاء الحراش".. رواية عن أشهر سجن جزائري يجمع رموز النظام السابق"https://www.yenisafak.com/ar/world/3555921

متلازمة سجن الحرّاش، باعتباره مجتمعا مصغّرا للوحشيّة والقسوة ونفي الإرادة. أي، خلاصة القهر المؤدي إلى العدم. في الحرّاش وحده تدرك أنّ الصمت من حولك يصير حيطانا باردة كابسة وقاسية. فالسجن، ومن غير أن يعلن لك ذلك ببيان منشور أو إعلان في مكبرات الصوت، يعلّمك درسه الأول، منذ الصباح الموالي لدخوله: لا تثق في أحد، ويفصلك نهائيّا عمّا يمكن أن ينسيك إيّاه وظروفه"[1]. هكذا كانت آخر إصدارات الحبيب السائح بانتظار نصوص أخرى مليئة بغواية التفاصيل الصغيرة ومرآة عاكسة للمجتمع بكل تناقضاته وتحولاته.

[1] رواية «نزلاء الحرّاش»... بين أدب السجون ورواية الأجيال 20 فبراير - 2022 مجيد دعيبس، كاتب من الاردن/https://www.alquds.co.uk

أسس الكتابة عند السائح الحبيب

أسس الكتابة عند السائح الحبيب:

تتأسس الكتابة عند السائح الحبيب على مجموعة من الضوابط التي فرضها على نفسه والتي وسمت جل نصوصه رغم اختلافها، أولها إبعاد القارئ ونفيه تماما أثناء الكتابة، مثلما جاء على لسانه في إحدى الحوارات، يقول: "لست في حاجة إلى قارئ بالمعنى الأدبي، وليس هناك شيء أخطر على الكتابة من مراعاة ما يسمى "الذوق العام"! ولأني أعتبر القارئ هو الرقيب الأول فإني لا أسعى إلى تغييبه فحسب ولكن إلى نفْيه تماما"[1]. غير أن الكاتب لم يكن يعني في هذا القول القارئ البسيط، بل القارئ الذي يسكنه لحظة الكتابة.

إن لحظة الكتابة هي لحظة أشبه بالتصوف يخلو فيها الكاتب إلى نصه حاجبه عن غيره، متماهيا وإياه خلف جدار أشبه ما يكون لغرفة من طين يهجع فيها ، دون منافذ تخترقها فضول قارئ

1 الروائي الحبيب السايح، الموقع نفسه، جريدة النصر.

مفترض. فإن المبدع إذا وقع في هذا الاحتمال (احتمال وجود قارئ رقيب لحظة الكتابة)، قدم نصوصه الإبداعية قربانا للحد من حريته. إذ أن الكتابة السردية إبداع، وعدو الإبداع سوط قارئ يترقبك ليدينك.

إن السائح يستبعد هذا القارئ، بل ويختار مفردة أكثر إصرارا على إبعاده حين ينفيه بدل أن يستبعده، لولادة نصه كما حلم به وأراد.

يقول دائما في نفس حواره مع نوارة لحرش: " لا أعني القارئ العياني الأدنى البسيط بقدر ما أعني قارئا افتراضيا أعلى ومركبا. أؤكد لكِ أن من يفسح لقارئ إلى أن يستوطن ذهنه وهو يكتب نصه يكون في حال من يجد نفسه متلبسا أمام شاهد. لكِ أن تتصوري كل التردد الذي يصيب هذا الكاتب وكل الحذف الذي يمارسه على نصه، وهو في تقديري ما قد يكون يحمل الإثارة الجمالية. كل كتابة هي مخادعة لذيذة لهذا القارئ الذي تتحدثين عنه لأنه رقيب فعلا.

إننا لا نكتب في الواقع إلا لأصدقائنا ولمن نتوقع أنهم يحبون أن يقرأوا ما نكتبه. هذه هي المسألة"[1].

أما السمة الثانية التي تطبع كتابات الحبيب السائح فإنها تتمثل في حضور التاريخ بقوة إذ نجد السائح لا يفوت إصدار رواية من رواياته إلا وكان للتاريخ فيها نصيب، بدءاً بمجموعته القرار، إلى زمن النمرود ... إلى من قتل أسعد المروري، وما رواه الرئيس، وصولا إلى نزلاء الحراش، كلها وظفت الجانب التاريخي فـ" التاريخ، في ما يكتبه الحبيب السايح، حاضر بشكل أساس"[2] ، لا يغفل عنه أو يتناساه لأنه جزء من كيانه ومن ذاكرته.

من أساسيات الكتابة عند الحبيب السائح، إضافة لما سبق، استماتته في الدفاع عن الفقراء والمعدمين والطبقة الكادحة

---

[1] الروائي الحبيب السايح للنصر " الجيل الأدبي الجديد لم تتحدد بعد معالمه بالدرجة التي تحددت لجيلنا". https://www.djazairess.com/annasr/5039

[2] من صفحة الحبيب السائح بتاريخ: 2020/05/18 (فيسبوك) نزولا عند طلب الصديقات والأصدقاء الذين لم يتمكنوا من مطالعة النص/الشهادة الذي نشره أمس الصديق أحمد شنيقي Ahmed Cheniki
على صفحته ووزعته، لاحقا، على صفحتي في لغته الأصلية، يطيب لي أن أقدمه لكم مترجما إلى العربية (مع أملي أن تروق لكم الترجمة.(
للعلم: أحمد شنيقي، صحافي مهتم ومتابع وناقد في المجال الفكري والثقافي وأستاذ جامعي متخصص في المسرح.

المقهورة في المجتمع، يقول : "عشت مهووسا بالعدالة. كنت، وأنا طفل، أحلم بشيء: إنقاذ الفقراء. أعتقد أن التزامي الاجتماعي والسياسي ينبع من ذلك، من محبتي للمعدمين[1]."

إن أهم عنصر يشتغل عليه الحبيب السائح في نصوصه الإبداعية هو "اللغة"، من خلال تنويعه في الأساليب اللغوية ومستوياتها و اختلاف أصواتها، فإنه بذلك يعلن و يبين لنا قدرته على التنويع و إدخال اللغة في نظام جديد، وكأنه يحاول من خلال ذلك أن يلبس اللغة ثوبا جديدا لا عهد لنا به، فقد ترك الحرية لكلماته حتى يحاور بها، يصف، يقص...في قالب فني رائع، ولم يحجز اللغة في استعمالات ضيقة، "لأننا إذا تهاونا في شأن اللغة وحجزناها في وعاء من الزجاج لتبدو براقة لماعة لا حياة فيها، فإننا نقضي على العنصر الأساسي في حياتنا العاطفية والروحية و الفكرية".[2]

[1] من صفحة الحبيب السائح بتاريخ: 2020/05/18 (فيسبوك)، النص/الشهادة، نفسه.

[2] مجلة العربي، العدد 548،2004، تصدرها وزارة الإعلام بدولة الكويت، ص:58-59.

خاتمة

الحبيب السائح كاتب ثائر، هذا ديدنه ، وفي كل مرة يثبت من خلال رواياته أن الرجل من رحم الثوار ، وأن قضيته أكبر بكثير من منصب أو جائزة يفاخر بها، إنه يرفض أن يضع سلاحه ، يخوض معركة التغيير الفكري و الثورة ضد طبقة مثقفة حربائية تتلون بألوان المصالح والصفقات المشبوهة.

نصوص الحبيب السائح بحاجة لأن تدرس بالجامعات لا على مستوى اللغة ومكونات السرد الأخرى فحسب، وإنما أيضا بتحليل شخصية الثائر من خلال أبطال يدسهم السائح في رواياته لتتحدث على لسانه حتى وإن كانت تلك الأبطال ثانوية وبعيدة بالنسبة لنا عن زاوية نظره وتفكيره.

إننا نرى مثلا في رواية "تلك المحبة" كيف تحدث الحبيب السائح عن الشخص الوصولي المستغل لعلاقاته بالعاصمة،

ومنصبه في ولاية صحراوية مُشكّلا شخصية السيدة البتول لتعريته وكشف عورته الأخلاقية والسياسية، حيث لا يستطيع حراس الوطنية الجدد ولا أصحاب النوايا الطعن في المرأة القديسة.

إنه لا يلجأ إلى صنع النجاح كما يفعل البعض من خلال القدح في الدين و الموروث العقائدي ، بل كرّس نصوصه ليحارب الفساد السياسي و يفرغ بمسلة حادة و ذكية تلك الكروش المتدلية والأعناق اللاّحمة التي لم تفلح ربطات عنق عريضة ملونة في ستر عوراتها.

هذا هو الكاتب والمناضل الحبيب السائح حاولت تقديمه بإيجاز، وعبر مراحل من عمره سعيت ألا أفلت أي خيط منها كي لا تتداخل وتختلط ، بانتظار ما ستحمله لنا الأيام المقبلة من نصوص جديدة تزين مكتباتنا العربية.

المصادروالمراجع:

- توتاي سيف الله هشام ، تجليات الزمكان في بنية الخطاب السردي، دراسة تطبيقية في رواية من قتل أسعد المروري ، دار المثقف، الطبعة 1، 2021، الجزائر باتنة.
- الحبيب السائح، البهية تتزين لجلادها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000.
- لحبيب السائح، رواية كولونيل الزبربر، دار الساقي، الطبعة الأولى 2015.بيروت، لبنان.
- الحبيب السائح، الصعود نحو الأسفل، المؤسسة الجزائرية للطباعة مطبعة بن بولعيد، 1981.
- الحبيب السائح، القرار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع مركب الطباعة –رغاية. الجزائر 1981.

- الحبيب السائح، الموت بالتسقيط، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، 2002.
- الحبيب السائح، تلك المحبة، دار فيسيرا للنشر 2013.
- الحبيب السائح، رواية الموت في وهران، دار العين للنشر، القاهرة 2014.
- الحبيب السائح، رواية زهوة، ،دار الحكمة للنشر 2011،الطبعة الأولى.
- الحبيب السائح، رواية مذنبون، دار الحكمة، طبعة ثانية، 2014.
- الحبيب السائح، تماسخت، دار فيسيرا للنشر ، الجزائر ، 2012
- سعد بن البشير العمامرة، هواري بومدين الرئيس القائد 1932-1978، قصر الكتاب البليدة، الطبعة الأولى 1997.

- عبد المالك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر 1990.
- قلولي بن ساعد، أسئلة النص وأسئلة الثقافة، القراءة النصية والقراءة الثقافية، دار الوطن اليوم، 2020.
- مجلة العربي، العدد 548،2004، تصدرها وزارة الإعلام بدولة الكويت، ص:58-59.
- محمد تحريشي، أدوات النص، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000.
- موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، الجزء الثاني، إعداد مجموعة من الأساتذة، إشراف رابح خدوسي، تقديم أ.د محمد الأمين بلغيث، منشورات الحضارة، طبعة 2014.

المواقع الإلكترونية، الجرائد والمجلات الالكترونية، ومواقع التواصل الاجتماعي:

- محاورة كمال الرياحي للكاتب الحبيب السائح بموقع بيت الخيال:

https://housefictionrk.wordpress.com/2017/02/14

- الحبيب السائح، الصحراء جنة الكلمات، موقع الجديد، السبت 2020/04/25، الموقع:

https://aljadeedmagazine.com

- الحبيب السائح: الواقعية والسياسة كرؤية مركزية، مقال الكاتب الجزائري: جيلالي خلاص، جريدة الوطن El watan في 11 جوان 2020 .ترجمة: أمين دهماص .

- الحبيب السّائح: «النمرود» الجزائري يحلم بالدولة الحديثة، حاوره سعيد خطيبي، المجلة الثقافية الجزائرية19/12/2011، موقع المقال:

https://thakafamag.com/?p=2357

- شهادة من صديق الحبيب السائح، الكاتب "جيدل بن الدين" ردا على استفساري حول ما حدث بعد صدور "زمن النمرود"، على نافذة الدردشة بالفضاء الأزرق، يوم: 2022/08/08.
- نظرة إلى الحبيب السايح ، الحبيب، الكاتب المفرد. "النص/الشهادة" نشره أحمد شنيقي Ahmed Cheniki وأعاد الحبيب السائح نشره على حسابه الفيسبوكي مترجما بتاريخ: 2020/05/18 .
- "الروائي الجزائري الحبيب السائح: عاشق في بلاد الأولياء"، حاوره الخير شوار (الجزائر)، (27-03-2009)، طنجة /الأدبية، الجريدة الثقافية لكل العرب. ملف الصحافة 2004/02. الإيداع القانوني0024/2004 الترقيم الدولي1114-8179.

- الروائي الحبيب السايح للنصر " الجيل الأدبي الجديد لم تتحدد بعد معالمه بالدرجة التي تحددت لجيلنا" حاورته: نوارة لحرش.نشر في النصريوم:2010/09/12.

https://www.djazairess.com/annasr/5039

- مجلة العربي، العدد 2004،548، تصدرها وزارة الإعلام بدولة الكويت،
- سيميائية المكان في رواية تلك المحبة للحبيب السائح، د/رمضان مسعودي،

ttps://housefictionrk.wordpress.com/2017/02/14

الفهرس

-مقدمة

-الحبيب السائح، "طفل يتغنى بالعدالة ...وشاب يحمل هموم وطن"

- أبرز النشاطات الفكرية للحبيب السائح
- إصداراته
- جوائزه وترشيحاته
- الحبيب السائح...وانتفاضة الكتابة
- محنة "زمن النمرود"... ومنحة فتح جديد
- ما بعد محنة "زمن النمرود"
- أسس الكتابة عند السائح الحبيب
- خلاصة
- المصادروالمراجع